العدد الأول

المنهاج

مجلة إسلاميّة جامعة تصدر مرّة كلّ شهر

صفر 1418 هـ / جوان 1997 م

عائشة عثمان
الصف
الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم



المنهاج

مجلّة إسلاميّة جامعة تصدر مرّة كلّ شهر

العدد الأوّل - السّنة الأولى

مسؤول التّحرير: عبد الله سفيان

عنوان المراسلات :

AL - MENHAJ
BM BOX 7524 LONDON WC1N 3XX
U. K.

رب يسر وأعن

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النّبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه أجمعين..

ليس من العسير أبدا أن يجد جماعة من النّاس مائة سبب وسبب في أنفسهم في وجوب إصدار نشريّة أو مجلّة في هذا الوقت بالذّات وخاصّة وهم يحملون همّ البيان والدّعوة، فإنّ هناك الكثير من الغثاء الذي يجب فضحه، وهناك الكثير من الحقّ الذي يجب بيانه، وهناك الكثير من الخير الذي يجب دعمه، وكلّ واحد من هذا الكثير جداً ومن كلّ صنف هو سبب كافي لأيّ واحد أن يبحث عن طريقة مثلى في تعريف النّاس به.

ولكن ههنا أمور سنسعى أن تكون ميزة على الغير، وشامات تنفرد بها هذه الورقات عن غيرها:

أوّلها: أنّ الكثير من واقعنا الموجود قد تحوّل إلى وصف وتحليل وخرج من كونه دعوة والتزاما، وهناك فرق كبير بين من كتب وهو يعبّر عن موقف والتزام، وبين من كتب ليصف ويحلّل الفعل والظّاهرة، فالأوّل حاله في واقع الحركة أن لا يهرب من مواجهة القضيّة بصورتها الشّرعيّة، هو مع أم ضدّ، هل يجب موالاة الفعل أو معاداته فهو ينقد ويراجع، يخطّئ ويصوّب، وبهذا يكتسب صفة المصلح الذي سيقع عليه عبء تحريك العقول وعبء الصّدمة، وبهذا يكون قوله تعبيرا عن موقف واضح بيّن، يدافع عنه ويدفع ثمن موقفه كما هو شأن أئمّة الإصلاح في تاريخنا، وكما حدث مع أئمّة التّجديد، حيث تتميّز صورتهم في الأذهان وتتخايل في داخل بؤرة واحدة، بؤرة الصّدق في القول والعمل، وتحمّل النّتائج وعدم الهروب منها، وعندما يصل إلى السّلطان ومن بيده القوّة والقضاء يقول له: اقض ما أنت قاض، إنّما تقضي هذه الحياة الدّنيا، وهو رجل لا يضرّه أسخط النّاس أم رضوا، أهلك في سبيل هذا الموقف أم نجا، فتظهر دعوته أمام إخوانه على حقيقتها كما أنّها تكون معروفة وواضحة كذلك أمام خصومه وأعدائه، فإخوان يحبّونه لأجل صدقه معهم فيها، وأعداؤه يبغضونه ويعاقبونه لأجل صدقه معهم كذلك، فالدّعوة لا تحتمل غير هذا، هذا هو قانونها وهذا هو ديدنها في كلّ مراتب طبقات الأنبياء والدّعاة والمجدّدين، فلا خدعة في الدّعوة والبيان، وإن جاز الخداع في الحرب والقتال، فتكفير الملحدين وإعلان

حكم الله في قضايا الإيمان والكفر لا يسع الدّعاة إلا موقفان: موقف البيان والتّوضيح والإعلان وهو موقف الصّفوة ومن كتب الله له الفضل، وموقف السكوت والتّخفّي وهو جائز عند خوف البلاء والعذاب، والأوّل أفضل منه وأجلّ وأعلى، وأمّا غير هذين الموقفين من المواقف الأخرى الكثيرة فهو موقف الإبتداع والجهل والتّلعب في دين الله وتمييع القضايا العظيمة في دين الله تعالى... أمّا الثّاني فهو وإن كان يظهر بصورة الموالي للحدث أو المعادي له، ولكنّه في الحقيقة لا يعبّر عن موقف، ولا يكشف عن التزام، نعم هو يحاول أن يظهر بصورة عند قوم وبصورة أخرى عند آخرين؛ فهو عند أولياء الحقّ مستخفيا معهم، وعند أولياء الباطل يظهر عدم العداء، بل هو ملتزم بقانونهم، وهذا الموقف وإن كان لا يعرف في دين الله تعالى، وليس هو خيار مطروح بين الفاضل والمفضول، لكنّ الغريب في الأمر هو الطّلب الصارخ من هذا القسم أن يوضع في مرتبة الإمامة والأفضليّة، بل يرى أنّ هذا هو الموقف الذي يجب على الجميع أن يسلكه ويسير فيه، وكلّ متنكّب عنه فهو متخلّف جامد لا يتقن فنّ السّياسة والكياسة، أمّا هو فهو سيّد الموقف وإمامه، وقديما قالوا: (من ركب فرسين فتق ظهره)، أمّا هو فهو الرّجل الذي يستطيع أن يسبح في التّيّار بل ضدّه فيما يزعم ولن يبتلّ من الماء قطّ، وهو يزعم كذلك أنّ طريق الأوّل يتقنه ويستطيعه الصّغار وجهلة النّاس، فقول كلمة الحقّ ليس بعسير أبدا، والتّصريح للأعور بعوره والمجرم بإجرامه هذا شيء سهل، ولكن الذّكاء والعبقريّة هو الذي يقوم به ويفعله.

هاتان المدرستان في مراكز الدّراسات والمجلاّت والنّشرات كلّ يدّعي الحقّ معه، فريق الإلتزام يتّهم الآخرين بالزّئبقيّة وعدم الوضوح، واللّعب على الحبال وضعف التّحصيل الشّرعيّ الذي يفرض الإلتزام بكون الشّيء صوابا أو باطلا، حلالا أو حراما، وهو في نهاية الأمر يقول: إنّ أدنى ما يقال عنه أنّه مجتهد مخطئ، ودع عنك دعوى الجبن والخور في مواجهة القضيّة..

وفريق التّصوير والتّحليل ينسب لنفسه العبقريّة والفهم الواعي، والقدرة على الجمع بين أكثر من كرة (قد تصل إلى الألف) في يد واحدة، فهذا البطل صاحب التّضحيات عند من يعشقها، وهو الفيلسوف الذّكيّ عند من يريدها، وهو المفكّر والمحلّل عند اشتداد الملمّات والمهالك، وهو يتّهم الفريق الأوّل أنّه يقضي على الآمال بطول اهتبال الفرص الممنوحة حين يطرح مبدأ الولاء الصّريح والبراء الحقّ، وأنّه يقوّض أرض الحريّة المبسوطة، وهو يورّط نفسه في مكان لا يستحقّ المرء أي يضع فيه كلّ عبقريّته وكلّ قدراته، فما زال في العمر بقيّة، وفي الجعبة الكثير ممّا هو عنده ومحتاجة الأمّة إليه،

فيجب عليه أن يحافظ على نفسه،لا لأنّه حريص عليها فيما يزعم، ولكنّه حرص على الأمّة التي كانت تنتظره من آلاف السّنين. ونحن في هذه الورقات لأنّنا لا نتقن الجمع بين المتناقضات، فقراءتنا في الكتب الصّفراء علّمتنا استحالة جمع النّقيضين كما علّمتنا استحالة رفعهما، ولا نؤمن بوحدة الوجود وهي العقيدة القائلة بأنّه يمكنك أن تكون (مع) وفي نفس الوقت تكون (ضدّ)، وتكون أسودا ومع ذلك فعلى الجميع أن يعتقد نصاعة بياضك وحين يعجزوا عن رؤية كلّ هذا البياض الفاقع فهم عميان جهلة.

ونحن لأنّنا نؤمن أنّ طريق السّلف (فقها و أدبا وشعرا) لم تكن تؤمن بالرّمز ولا تتقمّمه بل هي طريق واضح جليّ تتعامل مع الأشياء بوضوح الأحكام الشّرعيّة الخمسة، وعلى هذا فالحداثة الحديثة ليست في واقعنا هي في الأدب والشّعر فقط، ولكن الحداثة كذلك غزت أصحاب الموقف والدّعوة، فالإبداع عند مشايخ وأئمّة وأبطال وجماعات الإسلام لم ينقطع بحمد الله، والدّليل هوما تراه من قدرتنا على العمل خارج دائرة السّلف الجامدة، والسّلفيّة المتكلّسة!!!

ثانيها: سيكون خطاب هذه الورقات المقصود منه هم أهل الإسلام، وبالتّالي فهم همّنا في الخطاب، ومن كان خارج هذه الدّائرة فلا يعنينا أمره، وهذا المقصد يوجب علينا سلوك طريق، هو عين الطّريق الذي تحدّثنا عنه في النّقطة الأولى، فالمسلم ما يهمّه من كلّ ما يقال هو أن يعرف حكم الله تعالى، وأن يتعلّم الدّين الصّحيح فيما يخصّ تصوّره وتصديقه، وما يخصّ عمله وحركته، ولا يظنّ ظانّ أنّ هذا يعني أن نعيش خارج دائرة الزّمن، والتّحليق في المطلق، بل هو يعني لمن فهم معنى الحكم الشّرعيّ فهما صحيحا هو أن يكون الرّجل بصيرا بحال أهل زمانه، وهذا يعني كذلك أنّ يهتمّ المرء بما يسمّى عند أهل العلم بالمناط المؤثّر أو العلّة المؤثّرة أو السّبب المعتبر، فإنّ الكثير من واقعنا الذي يهتمّ له فريق التّحليل لا قيمة له في تعليق الحكم الشّرعيّ عليه، نعم هو من فضول العلم وملحه، ولكن ليس من صلب العلم، وأهمّ هذه الأسباب غير المؤثّرة في الحكم الشّرعيّ ولا يعدّ من الجهل المذموم جهلها هو تحليل واستكشاف أو محاولة تحليل واستكشاف سبب فعل الفاعل، فالزّاني مثلا له أسباب كثيرة لهذا الفعل مجموعة في قوله تعالى: (**إنّه كان ظلوما جهولا**) فمحاولة التّعمّق في معرفة مظاهر هذا الجهل وهذا الظّلم لا تعتبر علما أصليًا لأنّها لا تؤثّر شيئا في الحكم الشّرعيّ، ونحن في هذه الورقات نعتقد أنّ التّحليل والتّفكيك إن لم يكن ملتزما بالأحكام الشّرعيّة الواضحة سينقلب إلى تبرير لهذا الواقع، فالقاضي لو أطال السّمع لهذا القاتل وهو يسرد عليه قصّة حياته المؤلمة في عيشه وتربيته ولم يكن هذا القاضي يعلم حكم الله تعالى أو أنّه من أصحاب نظريّة

التّحليل فقط لرأى في قصّة حياته مناطا مؤثّرا يعلّق عليه رفع الحكم الشّرعيّ بالقصاص منه، وهذا حين توسّع فيه أقوام صاروا يعتقدون أنّ أمّتنا معذورة في كلّ ما نقوم به من جرائم وموبقات وبالتّالي فلا يجوز تطبيق الأحكام الشّرعيّة عليهم، بل وصل البعض إلى درجة اعتقاد وجود الإكراه في أمّتنا في كلّ موبقاتها ومعاصيها فهي معذورة.

إنّ التّحليل حين يتحوّل إلى تبرير هو منطق أصحاب البدع وهو قريب من الذي نراه عند المرجئة حين يحكمون على الرّجل بالكفر على قلبه فقط دون النّظر إلى العمل الظّاهر وأهمّيته.

التّحليل الذي تحوّل إلى تبرير جعلهم يعذرون الحكّام في خضوعهم للكفرة وحكمهم مجتمعات النّاس بالكفر والرّدّة، فلو جلس أكثر الشّيوخ فهما لحال هؤلاء من بُعْد ثمّ استمع لهؤلاء الحكّام وهم يبرّرون أفعالهم بحسب منطق المصالح والسّياسة لحدث في نفسه الكثير من الأعذار لهم ومن هنا فإنّ تبرير المعصية فيما هي جليّة واضحة هو طريق التّلعّب بالحكم الشّرعيّ وتغييره وتبديله.

العلم الخاصّ في هذا الزّمان هو تحليل الظّاهرة- ما أنواع الهوى؟ وكيف وقع الهوى؟ وما صور الجهل؟ وما هي مرتكزاته؟ حتّى إذا قيل له: ما هو حكم الله؟ كاع وضعف. وهذا مثال لكلّ الأحداث التي يتكلّم عنها الكثير من أصحاب النّشرات والمجلاّت، وهي تدخل في باب العلم، لكن العلم الذي هو من حواشيه وملحه لكنّه للأسف عاد على أصله بالإبطال والتّزوير عند الكثير، وصدق من قال: كان النّاس فيمن مضى يعتذرون من الجهل، ونحن في زمن نعتذر فيه من العلم، لكن من منّا يقدر أن يعترف على نفسه بالجهل، أو أنّه كان جاهلا فعلم؟ هذا إذا علمنا ما هو نوع العلم الذي يسمّى في ديننا علمٌ وفقه.

ثالثها :أنّ هذه الورقات ستقف لكلّ ما غيّر وبدّل موقف الرّاصد والكاشف لا تحابي ولا تهادن، وستخرج من إطار القوميّة المقيتة، والحزبيّة المذمومة والتي ضربت بجرانها في قلوب الكثير فصارت تؤثّر في أحكامهم ومواقفهم، وولائهم وبرائهم، وهي بهذا ستعود إلى الكتب الصّفراء لتعيد لها بهجة الحياة التي تستحقّها بعد أن عجز عن فهمها الكثير فذهبوا يشتمونها، وبالتّالي تركوها لغير أهلها من الطّيّبين أو غيرهم، وعلى هذا فهي خروج من سلبيّة النّقد إلى إيجابيّة البناء.

دعاوى نسأل الله تعالى أن يعيننا عليها فتملأ الزّمان والمكان حقيقة.

والحمد لله رب العالمين



بقلم الشّيخ/
أبو قـــتـــادة الفلسطيني

1- حسن حنفي .. زندقة اليسار الديني

الحمد لله ربّ العالمين ولا عدوان إلاّ على الظّالمين والصّلاة والسّلام على النّبيّ وعلى آله وصحبه أجمعين..

بعد نصر حامد أبوزيد والضّجّة التي رافقت قضيّة حكم الردّة عليه والتّفريق بينه وبين زوجته، الآن تدور الضّجّة حول حسن حنفي، وذلك بعد أن قدّم فضيلة الشّيخ يحي اسماعيل حبلوش الأمين العام لجبهة علماء الأزهر دراسة حول مشروع حسن حنفي واعتبره مشروعا تدميريّاً، وقد دعا الدّكتور الفاضل (حبلوش) لمعالجة هذا المشروع والوقوف ضدّه بكلّ قوّة، وكالعادة وقفت الصّحافة العلمانيّة الكافرة مطبّلة مزمرة ضدّ الدّكتور حبلوش، وبدأت جوقة الجهالة بالدّفاع عن حسن حنفي وبإسباغ أوصاف التّعظيم والتّبجيل عليه، وقد آثرنا في هذه الصّفحات أن نعرض فكر حسن حنفي كما هو ومعالجته ومواجهته كما ينبغي.

حنفي من مواليد القاهرة بمصر عام (1925م) وهو أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة ورئيس القسم فيها وهو السكرتير العام للجمعيّة الفلسفيّة المصريّة التّي يرأسها وزير الأوقاف في الحكومة، كتب بالعربيّة: التّراث والتّجديد (صدر سنة 1980)، ومن العقيدة إلى الثّورة (صدر سنة 1988)، ومقدّمة في علم الإستغراب (صدر سنة 1990).

مجمل ما يريده حسن حنفي في مشروعه:

يقدّم حسن حنفي نفسه مفكّرا اسلاميًا همّه صياغة التّقدّم الحضاري في مجتمعاتنا من خلال التّراث باعتباره عملا انسانيًا لا دينيًا يستند إلى المذاهب والفرق والاختيارات بينها، ولا يستدلّ بالنّص المقدّس، إذ أنّه من خلال عنوان كتابه: (من العقيدة إلى الثّورة) يختزل كلّ ما يريد أن يقوله، فالعقيدة (تراث) والثّورة (تجديد)، والعقيدة اهتمام بالله والرّسول وهذا يجب تجاوزه، والثّورة اهتمام بالإنسان وهذا الذي يجب أن ننشغل به ونركّز اهتمامنا حوله.

فالنّبوّة عنده قد انتهت والعقل الإنسانيّ قادر على الوصول إلى الحقائق وتحقيق الأهداف دون النّظر إلى أيّ عامل خارجي، وأهمّ عامل خارجي يجب استبعاده هو الوحي.. يقول في هذا: – وهل تجب النّبوّة لحاجات عمليّة أي للتّنفيذ والتّحقيق وأداء الرّسالة مادام الإنسان غير قادر على سنّ القوانين وتأسيس الشّرائع وإقامة الدّول أو تجنيد الجماهير وتوجيه الأمم وفتح البلدان، ألا يمكن للعقل قيادة المجتمعات مثل قيادة الإمام لها، هناك أيضا العقل الاجتماعيّ والعقل السّياسيّ والعقل التّاريخيّ لوضع القوانين وسنّ الشّرائع... إنّ العقل ليس بحاجة إلى عون، وليس هناك ما يندّ عن العقل.

هل استطاعت النّبوّة أن تخفّف من نقائص الإنسان وهي أوّل من يعترف بها؟ [مستنكرا أن تكون النّبوّة قادرة على أن تملأ المجتمعات بالحركة والفاعليّة] (من العقيدة إلى الثّورة).

وهويركّز نقده على الأقدمين (السّلف) لاحتمائهم بالوحي والرّسالة والعلماء، وهذا عنده نوع من عبادة الأشخاص وتشخيص الأفكار.

ثمّ هو يربط هذه القضيّة مع تصوّره لما حدث في التّاريخ من اخضاع النّاس لسلطان الله وسلطان الزّمان، وهذا عنده قمّة الإنحطاط، إذ يعتبر أنّ دعاء الله تعالى هو نوع تملّق ونفاق وضعف لا يصحّ ويعادل التّملّق والنّفاق للسّلاطين. وبالتّالي مشروعه هو اسقاط

هذين السّلطانين إذ يمثّلان العقيدة.. ثمّ ارجاع هذا السّلطان إلى الشّعب أي الثّورة.

يقول في هذا:

1- وأحيانا تختلط المقدّمات الإيمانيّة التّقليديّة بين الحمد والثّناء عليه (أي الرّبّ سبحانه وتعالى) وبين الدّعوة للسّلطة والتّزلّف إليها... فلا فرق بين الثّناء على الله والثّناء على السّلطان كلاهما يصدران عن بناء نفسيّ واحد... فالثّناء على الله تدعيم للثّناء على السّلطان، والثّناء على السّلطان نابع من الثّناء على الله. وكلاهما قضاء على الذّاتيّة، ذاتيّة الأفراد وذاتيّة الشّعوب..(من العقيدة إلى الثّورة).

2- وإذا كانت بعض المقدّمات الإيمانيّة القديمة تبدأ فقط: (باسم الله الرّحمن الرّحيم)، فإنّنا نبدأ (باسم الأمّة) فالله والأمّة واجهتان لشيء واحد بنصّ القرآن..

ويقول: - إذن عبارات: - الله عالم، الله قادر، الله حيّ، الله سميع، الله بصير، الله متكلّم، الله مريد، إنّما تعكس مجتمعا جاهلا عاجزا ميّتا لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلّم، مسلوب الإرادة، وبالتّالي يكشف الفكر الدّينيّ الذي يجعل الله موضوعا في قضايا من هذا النّوع عن الظّروف الإجتماعيّة والسّياسيّة التي يعيشها المجتمع الذي تطلق في أمثال هذه القضايا، فالله كموضوع في قضيّة خير مشجب لأماني البشر، وأصقل مرآة تعكس أحلامهم واحباطاتهم (من العقيدة إلى الثّورة).

قلت وهو نصّ يعادل قولهم: - الدّين أفيون الشّعوب.

وهو في هدمه للعقيدة وانتصاره للأمّة (كما يزعم) ينطلق في هذا كلّه من التّراث ومن داخله لابعيدا عنه (كذلك يزعم) مع رفضه أن يسمّى هذا التّراث دينا بل يعتبره نتاجا عقليّا صرفا. ومن أمثلة هذا الاختيار من داخل التّراث إليك هذا المثال: -

يقول تحت عنوان: إعادة الإختيار بين البدائل..

قضيّة (التّراث والتّجديد) هي أيضا قضيّة إعادة كلّ الإحتمالات في المسائل المطروحة، وإعادة الإختيار طبقا لحاجات العصر، فلم يعد الدّفاع عن التّوحيد بالطّريقة القديمة مفيدا ولا مطلوبا، فكلّنا موحّدون منزّهون، ولكن الدّفاع عن التّوحيد يأتي عن طريق ربطه بالأرض وهي أزمنتنا المعاصرة. فالتّجسيم (أي أنّ القول أنّ الله تعالى جسم سبحانه وتعالى) وهوالإختيار القديم المرفوض، قد يثير الأذهان حاليّا في الرّبط بين الله وسيناء، بين التّوحيد وفلسطين، فالفصل القديم بين الخالق والمخلوق كان دفاعا عن الخالق ضدّ ثقافات المخلوق القديمة، ولكن الحال قد تغيّر الآن، وأصبحت مأساتنا هي مكاسبنا القديمة،الفصل بين الخالق والمخلوق، ومطلبنا هو ما هاجمناه قديما، الرّبط بين الله والعالم، لقد ساد الإختيار الأشعري أكثر من عشرة قرون، وقد تكون هذه

السّيادة إحدى معوّقات العصر لأنّها تعطي الأولويّة لله في الفعل وفي العلم وفي الحكم وفي التّقييم، في حين أنّ وجداننا المعاصر يعاني من ضياع أخذ زمام المبادرة منه باسم الله مرّة، وباسم السّلطان مرّة أخرى، ومن ثمّ فالإختيار البديل، الإختيار الإعتزاليّ... هذا الإختيار قد يكون أكثر تعبيرا عن حاجات العصر، وأكثر تلبية لمطالبه، ما رفضناه قديما قد نقبله حديثا، وما قبلناه قديما قد نقبله حديثا. فكلّ الإحتمالات أمامنا متساوية. (التّراث والتّجديد).

وهو لا يعدّ هذا تراثا اسلاميًا ولكنّه يعدّه تراثا إنسانيًا، فبالتّالي نحن لسنا مسلمين، ولكنّنا إنسان كونيّ، يقول: - لذلك يكون من السّخف البحث عن هويّة فرعونيّة أو قبطيّة أو عربيّة أو إسلاميّة. (المرجع السّابق).

هذا هو عماد مشروع حسن حنفي، وهو يعدّه يساريًا لأنّه ينطلق من منطلق الرّافض لسلطان السّماء وسلطان الأرض، فهو رجل ثائر وكذلك اليسار معارض ثائر.

وممّا يلاحظ أنّ قيام الثّورة الإيرانيّة الشّيعيّة قدّم دعما عقديًا للفكر اليساريّ / الدّينيّ، وكذلك عمّق كثير من المفكّرين القادمين من الماركسيّة إلى الإسلام!! تنظيرات اليسار الدّينيّ من أمثال عادل حسين المصريّ / حليف الإخوان المسلمين هذه الأيّام في حزب العمل، ومنير شفيق الفلسطينيّ في الكثير من طروحاته وأفكاره التّي بدت لأوّل وهلة سلفيّة الاتّجاه، وسنرى فيما يأتي تأثّر الثّوريّين في داخل صفوف الحركات الجهاديّة بهذه الطّروحات في خطاباتهم.

وللذّكر فإنّ حنفي لم يبدأ أفكاره بهذا الطّرح إنّما بدأها على قاعدة (أنّ نقد التّراث الدّينيّ هو الشّرط الضّروريّ لنقد المجتمع وإنّ نقد الدّين هو المقدّمة الضّروريّة لتحريك الواقع وثورته.).

هذا هو حسن حنفي خاليا من كلّ الحواشي التي ملأ بها كتبه، وتبجّح فيها بكثرة معرفته بأسماء الكتب وأسماء المؤلّفين ونقل الصّفحات الكاملة منها، وادّعائه معرفة الفرق والمذاهب وأقوالهم في الرّبوبيّة والنّبوّة والشّريعة، وهي معرفة وإن عدّها صعالكة المثقّفين وغمار الكتّاب شيئا عجيبا أدّت بهم إلى الإنبهار والدّهشة لكنّها في الحقيقة ليست من ذلك في شيء، فصغار طلبة المدارس الدّينيّة في آخر دولة بني عثمان يعرفون أكثر منها، ويحفظون أضعافها.

ولكن هل يعتبر حسن حنفي النّص الدّيني (القرآن الكريم) إلهيًا؟ وهل يعتبر النّموذج النّبوي صورة واقعيّة لهذا النّص؟ .

حسن حنفي يعتبر أنّ القرآن نصّ إنسانيّ (من خلال فذلكة معيّنة يطول شرحها كما

هو قول عامّة هذه الزّمرة الخبيثة أمثال أركون ونصر حامد أبو زيد وغيرهم) يقول متسائلا مقرّرا: - ففي موضوع النّبوّة ما العيب في القول بأنّ نظم القرآن ليس بمعجز في ثقافة تقوم على الإبداع الشّعريّ واللّغويّ؟... ليس القرآن كتاب تحليل وتحريم بل كتاب فكر وليس الغرض منه تغليف العالم بقوانين وتقييد السّلوك الإنسانيّ بقواعد بل مساعدة الطّبيعة على الازدهار والحياة على النّماء... وما أسهل أن يولّد الدّفاع عن حقّ الله دفاعا مضاداً عن حقّ الإنسان (من العقيدة إلى الثّورة)، بل ويتصوّر أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على صورة من السّياسيّ الذي لا يقيم شأنا للمبادئ والقيم على حساب المصالح والنّتائج، ولذلك عندما سئل عن حادثة الغرانيق (وهي قصّة مكذوبة مفادها أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سجد لأصنام قريش حتّى يقرّبهم للإسلام) أقرّ هذه القضيّة وأيّد ما قاله الزّنديق سلمان رشدي في آياته الشّيطانيّة، وصرّح بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد قبل هذا العرض، وهذا ما دفع الشّيوعيّ الأوقح عبارة (صادق جلال العظم) في كتابه (ذهنيّة التّحريم) أن يثني على موقف حسن حنفي هذا واعتبره قمّة العلم والموضوعيّة. (ألا لعنة الله على الظّالمين).

يقول حنفي: - وما ورد بخصوص (الآيات الشّيطانيّة) صحيح. ومن بين أسباب النّزول هو أنّ النّبيّ محمّدا كان يحمل همّ الوحدة الوطنيّة للقبائل العربيّة وتكوين دولة في الجزيرة العربيّة، وكانت له مشاكل مع اليهود والنّصارى (مع اليهود بصورة خاصّة) ومع المشركين أيضا، فجاء المشركون إليه بعرض جيّد -وأنا أتكلّم عن الرّسول كرجل سياسة وليس كنبيّ- وقالوا له: نعم أيّها الأخ، ما المانع أن تذكر اللاّت والعزّى لمدّة سنة واحدة وقل أنّهم ليسوا آلهة... فقال بينه وبين نفسه: إنّ هذا العرض بشكل بالنّسبة لي كزعيم سياسيّ شيئا جيّدا لأنّه يحقّق لي مصالحة مؤقّتة مع العدوّ، وماذا يعني لو أنّني ذكرت اللاّت والعزّى لمدّة سنة واحدة ثمّ أغيّر بعدئذ؟ ثمّ إنّ الوحي يتغيّر طبقا للظروف. (الإسلام والحداثة / ندوة مواقف ص 234).

فعماد أسس حنفي في مشروعه كما هو شأن بقيّة جوقة (القول على الله بغير علم) هو الابتعاد عن مفهوم الدّين والخضوع لديّان وإله غيبيّ: له نعمل، وبأمره نمتثل، ومن أجل رضاه نسعى ونحفد، ومن أجل جنّته نموت ونحيا، إن بنينا الدّنيا فمن أجل الآخرة، وإن خربت دنيانا فلأنّ مصلحة الدّين أولى وأرفع، كلّ هذه المفاهيم والقواعد والتّصوّرات التي امتلأ بها القرآن الكريم وحفلت بها السّنّة النّبويّة، كلّ هذا لا وزن له عند حسن حنفي وزنادقة هذا العصر، بل الأمر كلّ الأمر -إن هي إلاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدّهر- ولذلك هو ينكر انتهاء الحياة الدّنيا ووجود يوم آخر لها. (انظر ج4 من العقيدة

إلى الثّورة حيث جعل الحياة الدّنيا خالدة لا نهاية لها).

أمّا ما يخصّ الشّريعة وتبديلها وتعديلها لموافقة روح العصر (كما يزعم) فهو موقف ينطلق من منطلق التّصوّرات والعقائد السّابق، فإنّه يرى أنّ الشّريعة يجب أن تتبدّل كلّما دعت الحاجة إلى ذلك.

هذا هو حسن حنفي، وهذه هي أفكاره وتقريراته وعقائده، وما تعظيمه وتبجيله إلاّ عمل جرى عليه العلمانيّون مع كلّ رجل يريد سلب إيمان الأمّة والتصاقها بدينها، وقد صار واضحا لكلّ ذي عينين مبصرتين أنّ تطبيل أزلام الفكر العلمانيّ ما هو إلاّ من قبيل النّفخ في رموز استمرأت الهجوم على مقدّساتنا وديننا.

وممّا يجدر التّنبيه عليه أنّ الدّراسات التي تقوم على تفسير ديننا وتراثنا على هذا النّمط هي طريقة مستقاة من طريقة الشّيوعيّين الأوائل في روسيا حيث دعا إمامهم الأكبر لينين إلى التّعامل مع التّراث بالقضم والتّأويل والإنتقاء لما يريد وهذا خلال مناقشات لينين مع الوطنيّين الرّوس؛ حتّى يكون الثّوري تراثيّا مع تقدّميّته ويكون هو -الحافظ للتّراث والأكثر أمانة له- حسب تعبير لينين نفسه (1)، وهي كما نرى- أنجح طريقة لنبذ الدّين والقضاء عليه، فإنّه ليس هناك طريقة أعظم من القضاء على الدّين بسيف الدّين نفسه/ كما يقول جمال الدّين الأفغاني كما ينسب له مكسيم رودنسون.

منطلقات وأثار هذا الكفر والزندقة:

في الحقيقة ليس هناك خوف كبير من هؤلاء على مجتمعاتنا وشعوبنا لأسباب متعدّدة أهمّها أنّهم أبعد ما يكونون عن فطرة شعوبنا المسلمة، ولذلك فخطابهم في داخل المجتمعات المسلمة خطاب مرفوض مستنكر، وهم يزمزمون بكلماتهم هذه في كتب يتداولها الخاصّة وطلبة الجامعات، وفي أنديتهم. وأفكارهم هذه هي عمل متأخّر لما يقوم به حكّام بلادنا، إذ أنّ حقيقة أفكارهم اسباغ لما تقوم به الدّولة من تشريعات ومناهج ونظم، وما تعانيه الأمّة من التّطبيقات العمليّة لهذه الأفكار أشدّ وأعظم من هذه الأفكار، وما دور حنفي وأمثاله إلاّ دور السّحرة مع فرعون، حيث يزيّنون له أفعاله، ويجابهون

(1) انظر كيف بدأت زغاريد الفرح عند الشّيوعيّين العرب لمّا بدأت تباشير هذا النّوع من الدّراسات تظهر.. في كتاب [النّزعات الماديّة في الفلسفة العربيّة والإسلاميّة] للشّيوعيّ الأشدّ حُمرةً حسين مروّة (ج1 ص 97 وما بعدها).

الخصوم بسيف القلم، كما تجابه السلطة هؤلاء الخصوم بسوط الأمن والمخابرات، وبقيد السّجون والمعتقلات، ولذلك ادّعاء حسن حنفي أنّه مع الإنسان ضدّ الله كذب وزور، بل هو في الحقيقة مع السّلطة ضدّ الرّبّ جلّ في علاه أوّلا وضدّ الأمّة المسلمة ثانيا.

ولكن يكمن خطرهم الأكبرفي تلقّي قادة العمل الإسلاميّ لمبادئ هذه الطّروحات الكافرة أو دعوتهم إلى الأخذ بالأصول النّظريّة لهذه الزّندقة.

إنّ أوّل مبدإ يرتكز عليه هؤلاء الزّنادقة هو تعدّد الحقّ ونسبيّته، فعندهم كلّ مجتهد مصيب، وهذا المبدأ يؤمن به الكثير من المعمّمين وأصحاب الكلمة في داخل الجماعات الإسلاميّة، فهم يعتبرون أنّ كلّ قول قاله أحد في تاريخنا الإسلاميّ هو فقه وقول اسلاميّ، سواء كان هذا القول في مسائل التّصوّر والتّصديق أم في مسائل الفقه والعمل، فالمعتزلة والخواج والمشبّهة والشّيعة بكلّ أقسامهم هم نتاج اسلاميّ صحيح لأصل واحد تعدّدت فروعه على شكل متّفق الأصول ولا اختلاف فيه، هذا في مسائل التّصوّر، أمّا الإختلافات الفقهيّة فإنّ كلّ قول قاله عالم هو قول صحيح واسلاميّ ويجوز للمسلم أن يتعبّد به، وهذا الإعتقاد عند هؤلاء القادة أفرز هذه الفتاوى الغريبة والمتضاربة وجعل هؤلاء الزّنادقة يرتكزون عليه في بنائهم لهذه المقولات.

فعندما يُسأل شيخ ما عن حكم الرّبا في ديار الكفر فيفتي بجوازه، وعندما يُسأل عن الغناء فيفتي بجوازه، وعندما يُفتي بجواز مشاركة الكفّار في أعيادهم وبجواز دخول البرلمانات في دول الكفر بحجّة أنّ هذه الأقوال قال بها بعض العلماء وهي فقه إسلاميّ، وحيث قالها بعض العلماء فيجوز لنا أن نأخذها ونتخيّر بينها، ولا نجد في ذلك حرجا، حين ترى تعرف حينئذ مرتكزات حسن حنفي في نظريّة الإختيار بين البدائل، ولذلك إنّ ما وصل إليه حنفي مرتكز على هذا الأصل وهذا الإنحراف.

ولكن لنعلم أنّ هذه إحدى ركائز الزّندقة التي حذّر منها علماؤنا حين قالوا: من أخذ بزلّة كلّ عالم تجمّع فيه الشّرّ كلّه، وكقولهم: – من تتبّع الرّخص فقد تزندق. وهي ركائز حسن حنفي في تسمية ما يقوم به من زندقة أنّها بناء من داخل التّراث.

ثمّ هذا الإقرار لهذه الطّوائف بأنّهم أصحاب الإسلام الصّحيح الذي نسمعه من هؤلاء المعمّمين والمفكّرين من قادة الجماعات الإسلاميّة كالشّيعة والخوارج والصّوفيّة وأخيرا النّصيريّين، ماذا سيكون الفرق النّظريّ بينهم وبين ما يقوله حسن حنفي من اعتبار تبنّي أي قول لهؤلاء لا يهدم التّراث بل يختار منه؟!!

إنّها في الحقيقة نفس المشكاة من الوجهة النّظريّة.

هذه واحدة

أمّا الثّانية: فهو التّعامل مع الأغيار من أجل المصلحة الدّنيويّة دون النّظر الأخرويّ والرّضا الإلهيّ. وبعبارة أوضح: - الإسلام النّافع لا الإسلام الصّحيح.

حسن حنفي ومن لفّ لفّه يريد أن يستخدم الموروث من أجل إصلاح الواقع والنّهضة به كما يزعم، وهو يعتبر أنّ هذا الموروث هو الأصلح لهذه الإنطلاقة. وعلى ضوء هذا فهو لا يمنع من مشاركة الآخرين في تحقيق هذا المقصد. يقول: - إنّ الذي يريد أن يحرّر فلسطين باسم الله فليتفضّل، والذي يريد أن يحرّر فلسطين باسم اللّيبراليّة أو الحريّة أو باسم البروليتاريا العالميّة أو باسم القوميّة العربيّة فليتفضّل، أمّا أنا فيهمّني تحرير فلسطين ولا أدخل في الأطر النّظريّة (ندوة مواقف).

هذا الذي يقوله حسن حنفي هو عين ممارسة الكثير من الحركات الإسلاميّة على مستوى التّطبيق العمليّ حينا وعلى مستوى الخطاب حينا آخر.

فما هذه التّحالفات بين الحركات الإسلاميّة وبين ما يُسمّى بالوطنيّين (وهو أكبر وأعظم ما وقعت فيه الحركات الإسلاميّة من موبقات وجرائم وللأسف قلّما خلت من حركة إسلاميّة أو رمز إسلاميّ) إلا تطبيقا عمليّا لما ينظّرله حنفي وأمثاله.

الإخوان المسلمون في مصر، والرّفاه في تركيا، والإخوان المسلمون في الأردن ومشروع الكتلة الواحدة في الإنتخابات البرلمانيّة، وحزب الإصلاح اليمنيّ (إخوان وخلائط) والنّهضة التّونسيّة مع شخصيّات المعارضة المهترئة، كلّ هذه التّحالفات منطلقها تحقيق مصالح العباد دون النّظر إلى قيمة الدّين ومصلحته، وهو خلاف ما ورد في الشّريعة أنّ مصلحة الدّين مقدّمة على كلّ مصالح الوجود من مال وعرض وعقل ونفس، فإنّ الأموال تنفق في سبيل هذا الدّين، والنّفوس تبذل في سبيل هذا الدّين، كلّ هذا لا قيمة له عندهم ويرونه من التّخلّف الفكريّ والجمود السّياسيّ والسّلفيّة الجامدة، فيا ضيعة هذا الدّين على أيدي هؤلاء الورثة.

ولذلك نجدهم أبعد النّاس عن مفهوم الولاء والبراء على أساس ما هو للغيب والآخرة وأبعد النّاس عن قوله صلّى الله عليه وسلّم: (أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله)، بل إنّ الكثير منهم يقول عين ما يقوله حسن حنفي في هذا الباب: دَعُونا من الخصومات حول الله وصفاته والآخرة وأهمّيتها ولنرجع إلى همومنا السّياسيّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة.

هذا على مستوى التّطبيق في العمل.

أمّا تأثّر الإسلاميّين بهذه العقيدة على مستوى الخطاب، فهو أمر قلّما خلا منه تيّار إسلاميّ سواء كان دعويّا أو سياسيّا أو جهاديّا (إلاّ من رحم ربّي).

واختصار وصف هذه الظاهرة المبتدعة نقول: -

النّهضة بالأمّة عندنا هي بتحقيق العبوديّة لله وذلك بالإيمان بالله تعالى وتصفية النّفس من علائق الشّهوات للوصول إلى الإخلاص الكلّي للدّار الآخرة (الآخرة بمفهوم شرعيّ صحيح بعيدا عن التّأثّر الصّوفيّ الفاسد)، ومهمّة الدّعاة إلى الله بيان الأعمال الشّرعيّة التّي تحقّق هذا الهدف، فما من عمل يطلبه الدّاعي من الأمّة إلاّ وهو محتف بغلاف تحقيق الرّضا الإلهيّ وبلوغ الجنّة، وقد جعل الله الدّنيا تبعا لهذا الأمر، وقد تفوت الدّنيا، وفواتها لا يؤثّر على إقبال المرء على العمل في شيء. وكلّما ازداد المرء والشّعب قربا من الله وأخلصوا أعمالهم لله وامتلأت قلوبهم بحبّ الدّار الآخرة كلّما حقّق الدّاعي إلى الله وصاحب الكلمة هدفه. فليس المقصود ذات العمل فقط ولكن لبّ العمل وجوهره هو تحقّق العبوديّة في قلب الإنسان.

على ضوء هذا فكلّ خطاب ينتسب إلى الإسلام ولا يملأ الأمّة بهذا فهو خطاب ليس من الإسلام في شيء وإن إدّعى صاحبه إسلاميّته.

حين نطلب من الأمّة أن ترتقي في درجات الوعي والعلم فهو من أجل هذا. وحين نطلب من الأمّة أن تجاهد فهو من أجل هذا، وحين نطلب منها أن تثور على طواغيتها فهو من خلال هذا الإطار وهذا البعد.

فالدّاعي إلى الله لم يسق النّاس إلى أهداف الإسلام و إلى تحقيق سلطان الله في الأرض من خلال شهوات زائلة، ومن أجل رغيف خبز، ولا من أجل أرض مغصوبة، لكنّنا نسوق النّاس إلى أعمال البرّ والتّقوى من أجل تحقيق رضا الله والدّار الآخرة.

إنّ هناك فرقا كبيرا بين أن تدعو النّاس بآية من كتاب الله تعالى فتملأ جوانحهم بالرّغبة فيما عند الله تعالى وبين أن تقول لهم: - إنّك عاري وإنّك جوعان فثر لبطنك وبدنك. وهذا الذي نقوله لا يعني أبدا أن لا نستخدم نتائج الجاهليّة فيما يرى النّاس ويعيشونه من أجل تبغيض النّاس بها ومن أجل تنفير النّاس عنها، ولكن هناك فرق بين أن يكون هذا تبعا أو أن يكون هذا الخطاب هو الأصل وفقط.

ونقطة أخرى في الفرق بين خطاب القرآن والسنّة وخطاب السّياسيّن المعاصرين، أو بمعنى آخر: الفارق بين الخطاب السّلفيّ الصّارم والخطاب السّياسيّ المتميّع، هو كشف خطاب كلّ واحد منهما لهمّ الدّاعي الدّاخليّ، فالرّجل الذي لا يثور ولا يتحرّك عندما يرى الشّرك في العبادات من عبادة قبور والتجاء إلى الأضرحة، ثمّ تثيره عندما يرى أعظم جرائم الوجود عنده هو اغتصاب السّلطة عن طريق الغلبة والقوّة، لهو دليل على أنّ سلّم الأولويّات لديه مختلّ جاهل بحساب الشّرع والدّين، ولذلك هو عدوّ لمعاوية رضي الله عنه،

صديق وولِيّ للصّوفيّة والمشعوذين والقُبوريّين، ثمّ يلتقي مع الإسلاميّين الذين هم ضدّ السّلطة حتّى ولو كانوا من أفسد النّاس نظرا لقضايا التّوحيد والعبادة، أمّا الخطاب السّلفيّ فـإنّه يكشف همّ الرّضى الإلهي والنّظر الأخرويّ، وعلى ذلك تستطيع أن ترى الفارق بين الأمرين جليّا في الكثير من الأمور والقضايا والأحكام ونوع الخطاب.

إنّ هذا الخطاب له مقدّمات في نفوس هؤلاء الدّارسين والخطباء في الصفّ الإسلاميّ -لعلّنا نأتي على بعضها يوما ما- لكن أهمّها هو حالة الإعجاب والإنبهار بما وصل إليه الآخرون من بناء للدّول والتّنظيمات والإطّلاع على كتبهم من أجل المعرفة والتّعلّم والتّلقّي، وأمر آخر هو أنّ هؤلاء هم من أجهل النّاس بحقيقة هذا الدّين، والعظيم فيهم من أخذ منه شيئا يسيرا في صباه، ثمّ رأى في نفسه صلاحيّة الحديث عن روح الدّين وقواعده العامّة. إنّ من إمانة هذا الدّين وحقّه علينا وفي أعناقنا هو أن نكشف نهايات وفروع هذه الأفكار المنحرفة في داخل صفوفنا، وهو أمر شاقّ وعسير لأنّه متقنّع بلباس الإسلام وراية السّلفيّة ودعوى الثّوريّة والجهاد.

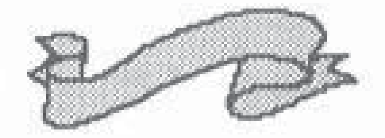
وأخيرا إنّ الخطورة من أمثال هؤلاء الزّنادقة من أمثال حسن حنفي هي كخطورة الفلاسفة في تاريخنا على الفقهاء والمتكلّمين فلئن عجز الفلاسفة أن يقودوا الأمّة وتيّاراتها فإنّهم لم يعدموا الشّرّ بأن يتنشّق المتكلّمون والفقهاء والمفكّرون زمزمة هذه الفلسفة وويعيدوا صياغة الشّريعة والدّين على أساسها.

و الله الحافظ لدينه و قرآنه .

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

" أخوف ما أخاف عليكم جدال المنافق عليم اللّسان ."

[رواه ابن حبّان في صحيحه]



قراءات ومواجهة

2- الكشف عن زيد الرؤوس الجاهلة ..

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النّبيّ الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين..

من سمة أهل البدع قديما وحديثا التّدليس والكذب، والتّلبيس والتّزوير، وخداع النّفس بالأماني الكاذبة، طمعا في استقرارها على باطلها وترويجا للباطل بين النّاس، خاصّة جهلتهم وغمارهم، وقد تتابعت الأخبار يدفع بعضها بعضا في صور هذا التّزوير من قبل أئمّة البدع القدماء، وما كان من خلفهم إلاّ الوفاء القبيح لهذا الفعل القبيح، قال الإمام وكيع بن الجرّاح رحمه الله تعالى: " أهل السّنّة يروون ما لهم وما عليهم، وأهل البدع لا يروون إلاّ ما لهم" (1)، هذا شأن أهل البدع قديما، ولكن الأمر زاد ضغثا على إبالة حين صارت جرأة أهل البدع على فعل القبيح أشدّ من أسلافهم، فقد صار أهل البدع في زماننا يكذبون ويزوّرون لباطلهم، مع شهرتهم بالسّرقة والتّدليس.

صدر في الآونة الأخيرة كتاب (تحذير الأمّة من تعليقات الحلبي على أقوال الأئمّة) للدكتور محمّد أبو ارحيّم، والكتاب يكشف شأن مبتدع استمرأ السّرقة والتّشبّع بما لم يعط، حتّى صار علماً هو وبعض إخوانه في هذا الفنّ، كمثل سليم الهلالي الذي كشف سرقته أحمد الكويتي في كتاب له سمّاه (الكشف المثالي عن سرقات سليم الهلالي) وهوكتاب مطبوع، وفيه عشرات الأمثلة من السّطو الصّريح والسّرقة القبيحة لكلام الآخرين ونسبتها للنّفس زورا وبهتانا متشبّعا بما لم يعط وهو غيض من فيض، ومثله في هذا ذلك الذي أعطي بعض الملازم المصفوفة (2)

(1) أخبار أصفهان 18/2.

(2) نستر اسمه الآن طمعا في توبته ورجوعه عن هذا الوادي السّحيق.

من أجل تصحيحها فما كان منه إلاّ أن دسّ فيها اسمه ليحظى بتأييد صاحب الكتاب حتّى يسوّق نفسه بأنّه تلميذ لهذا الشّيخ، مرضيّ عنه من قبله، مشهود له بالعلم والفضل، وهو أمر في هذه البيئة صارت رائحته تزكم الأنوف لقبح رائحته وكثرة الفاعلين له وجرأتهم، طمعا في شهرة اسم أو جناية مال... وما أدراك ما المال فهو الذي من أجله لويت أعناق النّصوص وبدلّت وحرّفت، وتغيّرت من أجله فتوى اليوم عن فتوى الأمس، وعلى محرابه السّامق عند هؤلاء أغمي على الرّجال الأثريين (1)..

هذا الكتاب الذي ذكرنا اسمه (تحذير الأمّة...) على ما فيه من بلاوى ومصائب من تسمية بعض شيوخ الإرجاء أئمّة، ومن تسمية من جعل نفسه خادما للطّاغوت إماما، ومع إقرار كاتبه أنّه على منهج اشتراط الإستحلال للتكفير في المكفّرات المجمع عليه كما هو مذهب غلاة المرجئةالضّالّة إلاّ أنّ فيه ما ينبغي أن نكشفه للنّاس.

فأوّل ما يتبادر إلى الذّهن بعد أن يرى مثل هذا الكتاب أن يقول: - إنّ الخرق قد اتّسع على الرّاقع، وصار الكذب أكثر من أن يستر أو يؤوّل، وصارت السّرقة تقع في نور الشّمس، فما عاد هناك متّسع من الهروب أو السّكوت أو التّأويل، فبدأ الصّراخ: أوقفوا هذه الجرائم... أو كما قال جرير: -

ابني حنيفة احكموا سفهاكم

نعم ينبغي لعقلاء هؤلاء القوم -على ما فيهم من الخطإ على الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم في الفهم - ينبغي على عقلائهم أن يوقفوا سفاهة السّفهاء، وكذب الكذّابين حتّى لو كانوا على مذهبهم وطريقتهم، وهذا الكتاب فيما أعلم هو أوّل كتاب يقوله هؤلاء القوم بصوت عال، فأغلب هؤلاء القوم يتداولون أخبار السّرقات العلميّة، والتّزويرات الجاهلة في أغلب جلساتهم وأحاديثهم، ولكنّهم يمتنعون من إظهارهافي أغلب الأحيان بسبب دعاوى المصلحة حينا ومن أجل تحقيق المصالح الذّاتيّة أغلب الأحيان.

فقصص وأحاديث السّرقات وادّعاء الفضل والعلم لا تحيطها ورقات كتاب يصلح للطّباعة من أجل هذا الشّأن ولكنّي سأذكر قصّة يعرفها صاحبها من نفسه، وحدّثني بها

---

(1) منهم شخص لا يتقن إلاّ خدمة الشّيخ اعتاد في مقدّمة الأشرطة أن يلقّب نفسه بالأثريّ وذلك ما جرت به الموضة، ترويجا للبضاعة، وادّعاءً للعلميّة، جاء الخبر أنّه أغمي عليه في جلسة مع شيخه حين أنكر حقّه في حصّته من المال، وكان الشّيخ قبل قد أفتى أنّها من حقّه، ولكن تغيّرت الفتوى لمّا انقلب الثّعلب إلى (ويوي). وعش رجبا ترى عجبا.

الكاشف لها، وأقسم لي بصدقها ونحن في الحرم المكّي والكعبة أمامنا ونحن نتخايل الله بين أعيننا: -

قال الأستاذ سمير (1) -وهو أحد طلبة العلم-: غضب الألباني يوما على الحلبي وكشف له جهله وشيئا آخر وطرده من مجلسه، فاسودّت الدّنيا في وجهه، وفكّر أنّ غطاءه سينكشف ودعوى التّلمذة للشّيخ ستصبح هباءً منثوراً، وليس له من ستر سواها، رآه التّاجر الكتبي نظام سكجها(صهر الشّيخ الألباني) على هذه الحالة، حزن عليه، ربّما... وربّما هي المصالح، فطلب منه أن يشدّ على نفسه ويقوم بتحقيق بعض الأحاديث تحقيقا علميّا، طويل النّفَس، تكون عليه آثار العلم بادية، وتقدّم للألباني طمعا في الرّضا والقبول..

ذهب الحلبي وغاب ليلة أو ليالي ورجع بأوراق قد خرّج فيها مجموعة من الأحاديث طمعا في الرّضا والشّهادة وأعطاها لسكجها، فما كان من سكجها إلاّ أن عرضها عليّ (القائل سمير) وكنت يومئذ عاملا له في المكتبة الإسلاميّة، فنظرت فيها ، ولا أدري كيف قفز لذهني أنّ هذه الأحاديث وهذه التّخريجات قد مرّت عليّ من قبل، وراجعت نفسي وإذا هي من كتاب الزّهد لابن أبي عاصم النّبيل فالأحاديث فيه، وتخريجها لمحقّق الكتاب (2) وقدأخذها الحلبي منه لأنّ الكتاب ومحقّقه غير مشتهر بين أيدي الطّلبة.

قال (سمير): - والله مازالت الورقات في ملكي وجعبتي بخطّ ذلك السّرّاق المدّعي. انتهت القصّة.

إذاً علي الحلبي هو جزء من بيئة لا تمتّ إلى العلميّة بشيء، ومبناها على هذه الأخلاق الرّذيلة..

قبل مدّة ليست بالطّويلة أخرج علي الحلبي كتابا سمّاه بعنوان فاقع (فتنة التّكفير) وهو تفريغ لشريط للألباني في جواب عن سؤال لأحدهم، والشّكوك تدور حول هذا النّوع من الأسئلة إذ أنّ أغلب السّائلين يرتّبون الإسئلة على وجه يبدو للمجيب والسّامع أنّها لا تحتمل إلاّ جوابا واحدا، فيكون السّؤال مقدّمة لجواب معروف، وعلى هذا جرت سنّة بدعة المدخليّين (أتباع ربيع المدخلي) في نشر بدعهم وضلالاتهم، وللأسف أنّ الأمر صار أكبر من مجرّد الأسئلة والأجوبة ضدّ المخالفين بل زاد حتّى صار عمالة للطّاغوت، فإنّ

---

(1) هذا اسمه الحقيقيّ.

(2) هو الدكتور عبد العليّ عبد المجيد الأعظمي الأزهري، الأستاذ في قسم الدّراسات الإسلاميّة بجامعة بايرو، نيجيريا، والإسم والموطن يغريان اللّصوص بالسّطو والقنص الحرام.

هؤلاء القوم يتقرّبون إلى الله (فيما يزعمون) بكشف أسماء المخالفين ممّن يرى تكفير الأنظمة الطّاغوتيّة، وقد صرّح بعضهم وهو قرين علي الحلبي واسمه مراد شكري أنّه سيبقى وفيًا للنّظام الطّاغوتي الأردني، وأنّه لن يتردّد في كشف كلّ إنسان يعرف أنّه يقول بتكفير حاكم الأردن، وقد ألّف هذا الكذّاب كتابا سيّئا في بابه سمّاه (إحكام التّقرير لأحكام مسألة التّكفير)، ملأه وشحنه ببدعة أهل الإرجاء وبمذهبهم أنّه لا يوجد في الدّنيا إلاّ كفر التّكذيب، وقد ردّ عليه أحد طلبة العلم في كتاب سمّاه (براءة أهل السّنّة من اشتراط التّكذيب للخروج من الملّة وبيان أنّ هذا قول المرجئة والجهميّة)، واسم كاتبه أبو عبد الرّحمن السّبيعي. وقد كشف فيه بدعة القول بهذا القصر لأنواع التّكفير، فجزاه الله خير الجزاء. ومن عجيب أمر هذا الرّجل -مراد شكري- انشغاله بتأليف الكتب لاثبات نسب هاشميّة الطّاغوت الأردني، فسبحان من وهب ومنع، قلت: الألباني في باب الإيمان معروف قوله، وقد تبيّن لذي عينين أنّه مع التقائه مع السّلف في اللّفظ بقوله: إنّ الإيمان قول وعمل، ولكن في التّفسير لهذه الكلمة هو مع أهل الإرجاء، بل وللأمانة العلميّة هو على مذهب غلاة المرجئة، فإنّ الألباني يشترط الإستحلال في التّكفير في المكفّرات الصّريحة، وقد طبّق هذا المبدأ على مسألة: سابّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حين رفض تكفير السّابّ حتّى يتبيّن شرط الإستحلال، وهو قول من سمّاهم أئمّتنا بغلاة المرجئة، أمّا فراخ المرجئة فهم الذين لم يتوقّفوا بتكفيره من أجل أيّ شرط باستثناء (الإكراه) ولكنّهم حملوا تكفيره على معنى التّكذيب القلبيّ لنبوّته، وهذا ما ذكره الإمام أحمد بن تيميّة في كتابه: (الصّارم المسلول على شاتم الرّسول)، وهو أمر مشهور وصار بفضل الله تعالى من أبجديّات فهم طلبة العلم لموضوع الإيمان، وهو الأمر الذي مازال الألباني وجماعته يرفضون الإقرار به، وقد وصل الأمر إلى قول بعض أتباعه: - نحن في هذه المسائل على خلاف مع ابن تيميّة، وقال آخر: - هذه عقيدة خاصّة لابن عبد الوهّاب لا نقول بها، وهو أمر ليس عند الألباني وجماعته فقط، فقد كشف الشّيخ سفر الحوالي، (فكّ الله أسره من سجون الطّغاة المرتدّين)، أنّ هناك من بدأ يقول هذا عندهم في الجزيرة كما في كتابه ظاهرة الإرجاء.

كتاب الحلبي قذف في صدره عبارات أشبه بطنين وقرع أهل الدّعايات الكاذبة، طمعا في التّرويج، وإرهابا لأولئك المساكين الذين مازالوا يقتاتون على الشّعارات والأسماء دون المعاني، ورضوا بالتّقليد وآثروا الدّعة واتّباع أئمّة الوقت الذين أحاطوا بكلّ شيء علما كما يظنّون في أئمّتهم.

هكذا كتب الحلبي عنوان كتابه:

التّحذير من فتنة التّكفير

بحوث علميّة، ونقول عقديّة، لعدد من علماء الإسلام، محدثّين، وفقهاء، ومفسّرين، تتضمّن جوابا علميًا فريدا: – للعلاّمة المحدّث الشّيخ محمّد ناصر الدّين الألباني و روجع عليه نفسه، مقرّاً لنشره

بتقريظ
سماحة الشّيخ الإمام
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
نفع الله تعالى به

وتعليق
فضيلة الشّيخ العلاّمة
محمّد بن صالح العثيمين
بمراجعته وموافقته

جمعها وقدّم لها، وعلّق عليها
علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري

وهوعنوان شبّه بقول القائل

ترغي وتزيد بالقافات تحسبها	قصف المدافع في أفق البساتين

وتحسب أنّ وراءه من الأمر العظيم والشّأن الجليل ما يستحقّ النّظر والقراءة، ولكن يا حسرتنا فليس كلّ بيضاء شحمة، وإذا كان كتاباً مثل هذا بكلّ هذا الإنحراف، وكلّ هذا الفساد والإفساد وهو بمثل هذا التّقريظ والتّعليق والمراجعة والإهتمام فيا حسرة أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ويا ضياعها وهوانها، ويا عظيم مصيبتها.

أمّا كذب هذا العنوان بقول الجامع والمقدّم والمعلّق: – بحوث علميّة، ونقول عقديّة...الخ. فوالله لا ترى في هذا الزّمان أكذب من هؤلاء القوم، ولا أكثر تزويرا منهم، ولا أقلّ حياءً من مثل هذا الذي صار علما على كلّ الرّذائل. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإذا سألت عن أيّ شيء يتكلّم هذا (المكتوب)، وأيّ تكفير يدفعه هذا (الكتيّب) علمت أيّ جهود تبذلها الدّول الطّاغوتيّة في نشر وترويج ها الكتيّب، فالكتاب يدافع عن تكفير أئمّة الكفر والطّغيان في هذا العصر أعني حكّام بلادنا الذين صار كفرهم أشهر من نار على علم..

وكتاب الحلبي هذا قام بالرّدّ عليه أخونا أبو محمّد المقدسي في كتابٍ له سمّاه: – (تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التّجهّم والإرجاء)، يقول في مقدّمته: – هذه الفتوى التي

نمّقها المقدّم لها وأخرجها كتابا قرّظ له بكلام علماء الدّولة السّعوديّة وسمّاه - التّحذير من فتنة التّكفير - وكان الأولى أن يعجم الحاء لتصير خاءً ويهمل الذّال لتصير دالا... هي في الحقيقة فتوى قديمة، قد طنطن حولها جهميّة زماننا طنطنة كثيرة، وقد طبعوها قبل مدّة، ووُزّعت مجّانا بعنوان (فتنة التّكفير والحاكميّة) قدّم لها وزادها تخليطا وتخبيطا - محمّد بن عبد الله الحسين... اهـ.

وقد كشف الأخ أبو محمّد شيئا من كذب وتدليس علي الحلبي في كتابه هذا حيث يقول: وما دمنا مع ابن حزم فيطيب لي أخي القارئ قبل أن أغادر هذا الموضع أن أعرّفك بمثال من (أمانة) !!! الحلبي وسيأتي مثله الكثير لتعرف كيف تتعامل مع كتبه ومنقولاته، فقد نقل في هامش ص 4 من مقدّمته عن ابن حزم قوله في تعريف الكفر: «الكفر صفة من جحد شيئا افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجّة عليه ببلوغ الحقّ إليه» وتأمّل كيف أغلق القوس هنا ووضع نقطة بكلّ جرأة مع أنّ للكلام بقيّة مهمّة تنقض تلبيسات الحلبي وإرجاءه. وهوقول ابن حزم بعد ذلك مباشرة: «بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معا أو عمل عملا جاء النّصّ به بأنّه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان.» (انظر الاحكام 45/1). فالذي اجتزأه الحلبي من كلام ابن حزم تجهّم محض، لكن مع هذه الزّيادة التي طواها الحلبي بأمانته!! وبترها بدقّته!! هو قول أهل السّنّة والجماعة الذي تضيق منه صدور أهل التّجهّم والإرجاء، ولذلك فهم كما قال الحلبي ص6 «يطوون هذه النّقول ويكتمونهاعن أتباعهم»!! (انتهى).(1)

وقد كشف الأخ أبو محمّد تدليس الحلبي في تحقيق المسألة كما هي على أرض الواقع تحت عنوان: - خلط مرجئة العصر بين ترك حكم الله وبين الحكم بمعناه التّشريعيّ.

ومقصد الأخ أن يقول: - إنّ الواقع الذي تعيشه الأمّة هو تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله وليس هو كما ذكر بعض الأئمّة قديما من تقسيمهم الحاكم إلى قسمين كافر وغير كافر، وذلك بتركه الحكم بما أنزل الله تعالى. ونقل قول ابن كثير رحمه الله تعالى: - (فمن ترك التّشريع المحكم المنزل على محمّد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشّرائع المنسوخة فقدكفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدّمها عليها، لا شكّ أنّ هذا يكفر بإجماع المسلمين). (2)

---

(1) ص 16 بخطّ اليد.

(2) البداية والنّهاية 119/13.

وكتاب الأخ أبي محمّد يستحقّ النّظر والقراءة لما فيه من استيفاء الرّدّ على هذا المدلّس الجاهل وهولم يطبع بعد.

وها أنا أكشف شيئا آخر كذب فيه المدلّس على ابن القيّم حين قال: -« قال العلاّمة ابن القيّم في "مختصر الصّواعق المرسلة" (421/2): - فمن جحد شيئا جاء به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بعد معرفته بأنّه جاء به، فهو كافر في دقّ الدّين وجلّه.».

وجعل كلام ابن القيّم هذا دليلا على اشتراط الإمام الجحود لكلّ كفر هو في ديننا، وليس في كلامه شيء من هذا، فقد علم طلبة العلم أنّ الجحود عند ابن القيّم نوع من أنواع الكفر وليس هو الكفر الوحيد في العالم.

ثمّ إنّ الجحود ليس هو من أعمال القلب فقط، بل الجحود في القرآن الكريم لم يطلق إلاّ على قول اللّسان مع تصديق القلب.. قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) [النّمل 14].. وقال تعالى: (فإنّهم لا يكذبونك ولكن الظّالمين بآيات الله يجحدون) [الأنعام 33].

فالله تعالى في كتابه جعل الجحود في هاتين الآيتين من قول اللّسان فقط مع استيقان القلب.فاحفظ هذا واهتمّ به..

وكلام ابن القيّم في موطنه هو للرّدّ على من فرّق بين العلميات والعمليّات (مثل هذا المدلّس الجاهل)، وليردّ كذلك على من جعل التّكفير لجاحد الأصول دون الفروع (باعتبار أنّ الأصول عندهم هي العقائد والفروع هي العمليّات.)..

والآن نعود إلى كتاب الدكتور محمّد أبو ارحيّم إذ أنّ الكتاب فيه حسنات منها:

- كشف تزويرات عديدة في النّقول وفي تفسير النّصوص من قبل الحلبي.
- الردّ عن الأستاذ محمّد قطب وما افتراه عليه الحلبي..
- كشف قلّة أدب الحلبي مع المحدّث أحمد شاكر..
- تحريف وتأويل كلام ابن تيميّة وابن كثير ومحمّد إبراهيم آل الشّيخ..
- زيادات أشبه بزيادات المبتدعة (بل هي أختها) على كلام الأئمّة..
- افتراءه على الأئمّة في معنى تبديل الشّريعة..

وها أنا أسوق لك بعض ما ذكره الدكتور أبو رحيّم في كتابه، وما كشفه بنفسه من صنيع هذا المدلّس الجاهل:-

يقول أبو ارحيّم:- زعم الحلبي أنّ شيخ الإسلام قد بنى الحكم بالتّكفير على ثلاثة أمور: المعرفة والإعتقاد ثمّ الإستحلال، فمن وجدت فيه فقد كفر وإلاّ فهو جاهل، وقد استنبط هذه المعرفة من قول شيخ الإسلام، فقال: قال شيخ الإسلام ابن تيميّة أيضا في

كتابه العظيم منهاج السنّة (131/5): ولا ريب أنّ من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحلّ أن يحكم بين النّاس بما يراه هو عدلا من غيراتّباع لما أنزل الله فهو كافر.

ثمّ قال بعد كلام: «فإنّ كثيرا من النّاس أسلموا ولكن مع هذا لا يحكمون إلاّ بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنّه لا يجوز الحكم إلاّ بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفّار، وإلاّ كانوا جهّالا.» قال الحلبي معلّقا : وكلامه رحمه الله بيّن واضح في أنّه بنى الحكم على المعرفة والإعتقاد ثمّ الإستحلال، وأنّ عدم وجود ذلك لا يلزم منه الكفر، وإنّما يكون فاعله جاهلا لا كافرا.. قال أبو ارحيّم في الهامش: انظر التّحذير15+17.

ثم شرعَ أبو ارحيّم في بيان ضلال وفساد ما قاله الحلبي وفي تقويله ابن تيميّة رحمه الله تعالى ما لم يقله وبيّن أنّ كلمة ابن تيميّة في آخر كلامه: - وإلاّ كانوا جهّالا لا تعود على المستحلّ وإنّما تعود على الجملة الأخيرة، فإنّ الاعتقاد بعدم وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله مع تيقّنه أنّه حكم الله كاف للحكم على معتقده بالكفر وإن لم يستحلّ الحكم بغير ما أنزل الله.

ثمّ خلص إلى قوله: - إنّ القاعدة التي ابتدعها علي الحلبي من كلام شيخ الإسلام المتقدّم، عاطلة باطلة، ويجب طردها من سجلّ العلماء الثّلاثة، إذ هم منها براء، وكلام شيخ الإسلام يشهد ببراءة نفسه منها.

لأنّ من اعتقد عدم وجوب الحكم بما أنزل الله مع علمه، كاف للدّلالة على كفره، ولو لم يستحلّ الحكم بغير ما أنزل الله، بل ولو حكم بما أنزل الله من استحلّ الحكم بغير ما أنزل الله مع علمه كاف للدّلالة على كفره ولو اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله ولأنّ منتهى هذه البدعة [معرفة واعتقاد ثمّ استحلال = كفر وإلاّ فلا] الغاء للتّكفير المشروع من سجلّ المسلمين وإذا لم يكن هذا إرجاءً فماذا يكون؟!! انتهى كلام الدّكتور.

وقد ذكر أبو ارحيّم أنّ الحلبي في مناقشته معه قد اعترف بخطإ هذا الفعل والتّدليس ثمّ تراجع في رسالة طبعها بعد ذلك، وبعد مراجعة الشّريط الذي هو أصل الكتاب تبيّن صحّة ما ذكره الدّكتور أبو ارحيّم.

ثمّ ذكر أبو ارحيّم أخطاء الحلبي على الأستاذ محمّد قطب حفظه الله، وقد كشف الدّكتور تدليس وكذب الحلبي بأجلى صورة، ولولا ضيق المقام لذكرتها كاملة ففيها البيان الشّافي لحقيقة هذا المدلّس الجاهل.

هذه وأكثر منها تجدها في كتاب من القطع الصّغير عدد صفحاته الفعليّة 78

صفحة والكتاب شبه تفريغ لشريطي المناظرة التي تمّت بين المؤلّف (أبو ارحيّم) وبين علي الحلبي، ولكن للشّريط معاني أخرى لا توجد في الكتاب منها:

1- قول محمّد شقرة (الحكم بين الطّرفين في المناظرة): لو غيرك فعلها يا علي لقطعت يده. أقول: وهل لا تقطع يد الحلبي في السّرقة والتّدليس لأنّه من أهل البيت أو هو ممّن شهدوا المواقع؟!!..

2- إظهار المداورة الجاهلة لتحميل الكلام ما لا يحتمل من قبل الحلبي.

3- لم يجد الحلبي ما يدافع به عن نفسه سوى قوله: إنّ الكتاب قرأه الألباني وقال: لقد تمتّعت به. قلت: وهذا يثبت أنّ أذواق بعض النّاس صارت الحكم الذي يرجع إليه أتباع هذا التّيّار..

لكن الكتاب وقع في خطإ موضوعيّ وهو اعتقاده أنّ كلام الحلبي لا يعتقده الألباني، وهذا خطأ، فإنّ كلّ ما قاله الحلبي هو موافق لما يقوله الألباني في أحاديثه، ومحاولة (أبو ارحيّم) نسبته خطأ هذه العقائد إلى أشخاص دون بقيّة الأتباع والسّلفيّة الجديدة خروج عن الموضوعيّة، فإنّ هذا التّيّار الجديد والذي يقوده الألباني وربيع المدخلي وتتصرهما تزويرات الحلبي ومن هو على شاكلته هو منهج أصيل وليس خطأ عارض، فإنّ الألباني يرى أنّه لا يوجد عمل (أيّ عمل) مكفّر ومخرج من الملّة، حتّى سابّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما تقدّم، وإنّ تقريرات الألباني في هذا الباب هي عين تقريرات مذهب المرجئة الغلاة، وأشرطته شاهدة على ذلك، وللأخ أبو بصير (عبد المنعم أبو حليمة) ردّ رائع على شريط بعنوان (الكفر كفران) حيث كشف فيه خطأه في هذا الباب، ومن فوائده أنّه يكشف طريقة الألباني الظّالمة في الحجاج والمناظرة، وأنّه يحلّ لنفسه ما يحرّم على غيره، ويستطيع الأخ المنصف أن يعرف انحراف الألباني في مسمّى الإيمان وحقيقته بعد أن يطّلع على فتاوى الألباني في العقائد التي قام على طبعها هذا المدلّس الجاهل -علي الحلبي-.. ولذلك على الكاتب (أبو ارحيّم) أن يخرج من هذا التّيّار وإن يعلن براءته منه ويرتقي في النّسبة إلى الرّجال الأوائل، وسيكتشف عمق ما عليه أصحاب هذا المنهج من انحراف في باب الإيمان..

لكنّي أقول لعلّ (أبو ارحيّم) يعيش نفس المرحلة التي كنّا فيها يوما، وهي محاولة الإصلاح من الدّاخل، ولكن قد ثبت خطأ هذا الطّريق، فإنّ المنهج سار في كلّ عرق ولم يعد لتقويم الشّيوخ سبيل، فلا بدّ من البيان.. وهذا المعنى عند (أبو ارحيّم) هو الذي جعله يكيل المدح لمحمّد شقرة ويستشهد بكلامه وكلام الألباني في موضوع الحاكميّة، لكن (أبو ارحيّم) ماذا سيفعل إذا قرأ في مجلّة الفرقان الكويتيّة (في عددها رقم 84

السّنة التّاسعة ص 34 تحت عنوان فتاوى منهجيّة) وفيها فتوى هيئة كبار علماء آل سعود في بدعيّة القول بتوحيد الحاكميّة، هل سيخالفهم أم سيحني رأسه للعاصفة كما فعل غيره.

على كلّ حال: أبو ارحيّم وهو دكتور في الشّريعة ويدرّسها في إحدى جامعات الأردن بهذه المخالفة للحلبي وبهذه الصّراحة سيجني ثمارعقوقه للحرّاس اليقظين على المنهج المبتدع، وما ذكره في مقدّمة كتابه أنّه سيُشهَّر به وسيُتّهم بالخارجيّة هو بداية الطّريق لتحرير العقل من هوى البدعة والسّير في ركاب الطّواغيت.

أدعو لأبو ارحيّم من كلّ قلبي أن يهديه الله إلى الحقّ، وأن يتخلّص من سلطة الكهنوت ليرى الأمور على حقيقتها.

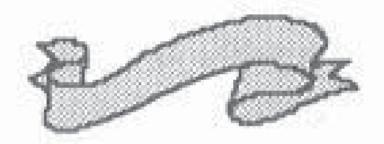
أمّا الحلبي وبقيّة الجماعة المبتدعة – أو حسب تسمية الدكتور عبد الرّزّاق الشّايجي – أدعياء السّلفيّة، أو حسب تسمية إخواننا– مرجئة العصر، فإنّ الهوى كمرض الكلب إذا دخل في كلّ عرق فلا رجوع حتّى يرتدّ السّهم من فوقه.

والحمد لله ربّ العالمين

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من النّاس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتّى إذا لم يُبْق عالما اتّخذ النّاس رؤوسا جهّالا. فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا."

[متّفق عليه]



الشّيخ عمر عبد الرّحمن عالم مجاهد، وهو ملك أمّة، وحقّه على جميع الأمّة، دون النّظر إلى محاولات خصومه الحاقدين وبعض أحبابه الأوفياء، وضعه في إطار أضيق بكثير من أمّة الإسلام، ومن أجل أداء شيء من واجبه علينا في هذه المجلّة فإنّنا ننشر كلماته هذه، خروجا من بعض الإثم، والله من وراء القصد..

وصية من الشيخ الدكتور / عمر عبد الرحمن إلى أمة الإسلام

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيّها الإخوة الأجلاّ..

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : -

فإنّ واجب النّصرة عليكم أمر أكيد، أن تنصروا أيّ مسلم أسر عند الكفّار وأعداء الإسلام، فواجب النّصرة أمرٌ حتّمه الدّين، ألم يتحرّك جيش إسلاميٌ تعداده سبعون ألفا من بغداد بمجرّد سماع صرخة امرأة على بعد آلاف الأميال في بلاد الأتراك (عموريّة)؟! وذهب هذا الجيش لينصر هذه المرأة؟ ألم يتحرّك المعتصم لإنقاذ هذه المرأة، ولم يكن إجابته على صرختها كلاما أو كتابة، إنّما كان جيشا يدكّ حصون الأعداء.. أليس الحكم الشّرعيّ أنّه إذا أسر مسلم أصبح الجهاد فرض عين على الأمّة الإسلاميّة بأسرها لإنقاذه؟ أليس كلام الفقهاء ينصّ على أنّه إذا أسر مسلم بالمشرق وجب على أهل المغرب المشاركة في فكّ أسره وأصبح إنقاذه واجبا على جميع المسلمين؟

والشّيخ يناديكم صباحاً ومساءً واإسلاماه وإسلاماه! فلا يجد داعيا ولا مجيبا! فواجب المسلمين في كلّ أنحاء العالم فكّ أسر الشّيخ وتخليصه من سجنه، وإنّ هذا الأمر دين في أعناقكم وأمانة في رقابكم فعليكم أن توفّوا الدّين وأن تؤدّوا الأمانة، وإلاّ فالأمّة المسلمة آثمة كلّها! فكيف يكون الحال إذا ما كان الشّيخ من علماء المسلمين! إنّ الأمر ليشتدّ قوّة وعزما وإنّ الدّين يكون ألزم والإثم يكون أعظم.

أيّها الإخوة الأجلاّء، أيّها المسلمون في جميع أنحاء العالم...

إنّ الحكومة الأمريكيّة رأت سجني ووجودي في قبضتها الفرصة السّانحة، فهي تغتنمها أشدّ الاغتنام لتمريغ عزّة المسلم في التّراب والنّيل من عزّة المسلم وكرامته، فهم لذلك يحاصرونني.. ليس الحصار المادّيّ فحسب، إنّهم يحاصرونني حصارا معنويّا أيضا، حيث يمنعون عنّي المترجم والقارئ والرّاديو والمسجّل فلا أسمع أخبارا من الدّاخل أو الخارج، وهم يحاصرونني في السّجن الإنفراديّ.. فيمنع أيّ أحد يتكلّم العربيّة أن يأتي إليّ فأظلّ طول اليوم والشّهر والسّنة لا أكلّم أحدا ولا يكلّمني أحد.. لولا تلاوة القرآن لمسّني كثير من الأمراض النّفسيّة والعقليّة.. كذلك من أنواع الحصار أنّهم يسلّطون عليّ الكاميرا ليلا ونهارا لما في ذلك من كشف العورة عند الغسل وعند قضاء الحاجة، ولا يكتفون بذلك.. بل يخصّصون مراقبة مستمرّة عليّ من الضبّاط، ويستغلّون فقد بصري في تحقيق مآربهم الخسيسة، فهم يفتّشونني تفتيشا ذاتيّا فأخلع ملابسي كما ولدتني أمّي، وينظرون في عورتي من القُبل والدّبر.. وعلى أيّ شيء يفتّشون؟ على المخدّرات أو المتفجّرات ونحو ذلك، ويحدث ذلك قبل كلّ زيارة وبعدها وهذا يسيء إليّ، ويجعلني أودّ أن تنشقّ الأرض ولا يفعلون معي ذلك.. ولكنّها كما قلت الفرصة التي يغتنمونها ويمرّغون كرامة المسلم وعزّته في الأرض، وهم يمنعونني من صلاة الجمعة والجماعة والأعياد وأيّ اتّصال بالمسلمين كلّ ذلك يحرمونني منه، ويقدّمون المبرّرات الكاذبة ويختلقون المعاذير الباطلة، وهم يسيئون معاملتي أشدّ الإساءة.. فلا يستجيبون لطلباتي ولا يحضرون لي ما أحتاج إليه، وأظلّ أطرق الباب لفترات طويلة بلغت أحيانا ستّة ساعات فلا يجيب أحد عليّ، على حين إذا طرق الباب أيّ

سجين طرقات قليلة فإنّهم يأتون اليه مسرعين ملبّين طلباته، ويهملون في شؤوني الشّخصيّة كالحلق وقصّ الأظافر بالشّهور، كذلك يحمّلونني غسل ملابسي الدّاخليّة حيث أنا الذي أمرّ الصّابون عليها، وأنا أدعكها، وأنا أنشرها، وإنّي لأجد صعوبة في مثل هذا، ثمّ إنّي لأشعر بخطورة الموقف فهم لا محالة قاتلي، إنّهم لا محالة يقتلونني لاسيما وأنا بمعزل عن العالم كلّه، لا يرى أحد ما يصنعون بي في طعامي أو شرابي ونحو ذلك، وقد يتّخذون أسلوب القتل البطيء معي، فقد يفعلون السمّ في الطّعام أو الدّواء، والحقن، وقد يعطونني دواءً خطيراً فاسداً، وقد يعطونني قدرا من المخدّرات قاتلا أو محدثا جنوناً، خصوصا وأنا أشمّ روائح غريبة وكريهة منبعثة من جهة الطّابق الذي فوقي مصحوبا بها أوشٌ) مستمرٌ كصوت المكيّف القديم الفاسد، ومعه خبطٌ وقرعٌ وضوضاء، وطرقٌ كصوت القنابل يستمرّ للسّاعات ليلا ونهارا، وهم سيختلقون عندها المعاذير الكاذبة والأسباب الباطلة في أمر الوفاة، فلا تصدّقوا ما يقولون، إنّهم يجيدون الكذب، وقد يختلقون إساءة خلقيّة يختلقونها، ويستخرجون لها الصّور لإساءة خلقيّة، فكله ذلك يُنتظر منهم، وأمريكا تعمل على تصفية العلماء القائلين للحقّ في كلّ مكان، فقد أوحت إلى زبانيتها في (السّعوديّة) فسجنوا الشّيخ سفر الحوالي والشّيخ سلمان العودة، وكلّ المتكلّمين بالحقّ، كذلك صنعت مصر.

وجاءت التّقارير القرآنيّة عن هؤلاء اليهود والنّصارى ولكنّنا ننسى أو نتناسى:

قال الله تعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتّى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا).

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم).

(كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمّة يُرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون، اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدّوا عن سبيله إنّهم ساء ما كانوا يعملون).

(لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون).

(إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسّوء وودّوا لو تكفرون).

اودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفّارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ!

اما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزّلَ عليكم من خير من ربّكم!

انّ هؤلاء هم الذين يحاربون أيّ صحوة إسلاميّة في العالم كلّه ويعملون على إشاعة الزّنا والرّبا وسائر أنواع الفساد في الأرض كلّها.

فيا أيّها المسلمون في كلّ مكان..

قطّعوا أوصال دولتهم، مزّقوهم كلّ ممزّق، خرّبوا اقتصادهم، وحرّقوا شركاتهم، دمّروا مصالحهم، أغرقوا سفنهم، وأسقطوا طائراتهم، واقتلوهم في البرّ والبحر والجوّ، (واقتلوهم حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد)، قاتلوا هؤلاء الكفرة (وليجدوا فيكم غلظة)، (قاتلوهم يُعذّبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم).

ولقد بحثت عن السّلام فلم أجد	كإراقة الدّم بالسّلاح كفيلا
أدّت رسالتها المنابر وانبرى	صوت السّلاح بدوره ليقولَ:
من يستدلّ على الحقوق فلن يرى	مثل الحسام على الحقوقِ دليلا

أيّها الإخوة..

إنّهم إن قتلوني - ولا محالة هم فاعلوه - فشيّعوا جنازتي وابعثوا بجثّتي إلى أهلي، لكن لا تختلوا دمي، ولا تضيّعوه، بل اثأروا لي منهم أشدّ الثّأر وأعنفه، وتذكّروا أخا لكم قال كلمة الحقّ وقُتل في سبيل الله. تلك بعض كلماتٍ أقولها وهي وصيّتي لكم.

سدّد الله خطاكم، وبارك عملكم، حماكم الله، حفظكم الله، رعاكم الله، مكّن الله لكم.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم / عمر عبد الرحمن

من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدّين

مسألة في

الرشوة والبرطيل

جمعها و أعدّها:
أبو بلال الأندلسيّ

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على رسول الله، وبعد:

الرّشوة لغة مأخوذة من الرّيش، قال الطّحاوي في شرح الآثار (1) : إنّ ذلك أخذ من الرّيش الذي تتّخذ منه السّهام [يقال راش السّهم: أي ألزق به ريشا] ويجعل فيها، وهي التي لا تقوم السّهام إلاّ به، فجعل مثله المسبّب الذي لا يقوم إلاّ بالذي كان منه فيه حتّى التأم به. [وانظر تاج العروس مادّة ريش كذلك]

قال ابن الأثير في النّهاية: الرّشوة (بالفتح) والرّشوة (بالكسر) الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة وأصله من الرّشا الذي يتوصّل به إلى الماء.

والبرطيل (بالكسر): أصله الحَجَر، بمعنى الرّشوة، فكأنّ الذي يأخذ البرطيل يضع تحت لسانه حجراً يمنعه من الكلام، وكذا تصنع الرّشوة. [انظر مادّة بُرْطل].

أمّا في الشّريعة فالرّشوة هي ما يُعطَي لإبطال حقّ، أو لإحقاق باطل، فيعطي الرّاشي لينال باطلا أو ليمنع حقّا يلزمه، ويأخذه الآخذ على أداء حقّ يلزمه فلا يؤدّيه إلاّ برشوة يأخذها، أو على باطل يجب عليه تركه ولا يتركه إلاّ بها(2) .

وكذا قال محمّد علي القاري في شرحه على المشكاة في معنى الرّشوة.

وهي حرام بإجماع المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلّم : "لعنة الله على الرّاشي

والمرتشي" رواه أحمد والتّرمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال التّرمذي:- هذا حديث حسن صحيح.

وله طرق أخرى من حديث أبي هريرة وثوبان وأمّ سلمة..

قال التّرمذي: - وسمعت عبد الله بن عبد الرّحمن (وهو الإمام الدّارمي صاحب السّنن) يقول: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم أحسن شيء في هذا الباب وأصحّ.

والمسألة التي بين أيدينا هو أنّ سائلا يسأل: - إنّه بسبب انتشار الظّلم وفرض القوانين الجائرة، وبسبب انتشار كفر القضاة وظلمهم، وتسلّط الشّرطة الفاجرة في بلادنا في صورة يعرفها كلّ واحد، ففي هذه الصّورة هل يجوز للمسلم أن يدفع مالا من أجل تحصيل حقّ أو من أجل دفع باطل عنه، وهل يجوز للمسلم أن يدفع للجابي (صاحب المكوس الظّالمة) مالا له على صورة الرّشوة حتّى يقلّل عنه المظالم أو يدفعها بالكليّة.

أفتونا مأجورين؟

الجواب: - معلوم أنّ الرّشوة قد حرّمت لسبب معقول المعنى، وهي أنّها طريق لنشر الظّلم ودفع الحقوق عن مستحقّيها ولذلك جاء الوعيد الشّديد على فاعلها -لعنة الله على الرّاشي والمرتشي- وهو لفظ يفيد التّحريم كما هو معلوم عند أهل العلم.

فأخذ الرّشوة وهو المرتشي آثم بكلّ وجه لأنّه أخذ للمال بغير وجه حقّ أمّا من دفعها من أجل رفع الظّلم عن نفسه أو إحقاق حقّ له فللعلماء قول آخر:

قال الإمام الخطّابيّ رحمه الله تعالى في شرحه للحديث المتقدّم (لعن الله...): الرّاشي المعطي، والمرتشي الآخذ، وإنّما يلحقهما العقوبة معا إذا استويا في القصد والإرادة فرشا المعطي لينال به باطلا ويتوصّل به إلى الظّلم، فأمّا إذا أعطى ليتوصّل به إلى حقّ أو يدفع عن نفسه ظلما فإنّه غير داخل في هذا الوعيد (3)..

قال الإمام ناصر السنّة البغوي رحمه الله: إذا أعطى المعطي ليتوصّل به إلى حقّ أو يدفع عن نفسه ظلما فلا بأس، يروى عن ابن مسعود أنّه أُخذ فأعطى دينارين حتّى خلّي سبيله، وروى عن الحسن والشّعبيّ وجابر بن زيد وعطاء أنّهم قالوا: لا بأس أن يُصانع الرّجل عن نفسه وماله إذا خاف الظّلم (4)..

وقد قال الإمام الطّحاوي رحمه الله بعد أنّ بين حرمة الرّشوة: - ولم يدخل في

ذلك عندنا -والله أعلم- من منع حقًا فرشا ليصل إلى حقّه، فذلك غير داخل في الذّمّ، لأنّه طلب الوصول إلى حقّه، وأخذ الرّشوة منه التي لولا أخذه إيّاها لما وصل إلى حقّه لمنعه إيّاه، داخل في اللّعن المذكور في هذه الأحاديث، ومثل ذلك ما يروى عن جابر بن زيد في هذا المعنى (5) .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: - مسألة: - ولا تحلّ الرّشوة وهي ما أعطاه المرء ليحكم له بباطل أو ليولّى ولاية أو ليظلم له إنسان فهذا يأثم المعطي والآخذ، فأمّا من مُنع من حقّه فأعطى ليدفع عن نفسه الظّلم فذلك مباح للمعطي وأمّا الآخذ فآثم.

ثمّ قال: - قال الحسن البصريّ وإبراهيم النّخعيّ: ما أعطيت مصانعة على مالك ودمك فإنّك فيه مأجور. (6).

قال ابن تيمية رحمه الله: - ولهذا قال العلماء يجوز رشوة العامل لدفع الظّلم لا لمنع الحقّ، وإرشاؤه (أي أخذ الرشوة) حرام فيهما وكذلك الأسير والعبد المعتق إذا أنكر سيّده عتقه، له أن يفتدي نفسه بمال يبذله يجوز له بذله، وإذا لم يجز للمستولي عليه بغير حقّ أخذه (7)..

قال ابن نجيم الحنفي تحت قاعدة: - ما حرّم أخذه حرّم إعطاؤه.

قال: كالرّبا ومهر البغيّ وحلوان الكاهن والرّشوة وأجرة النّائحة والزّامر، إلاّ في مسائل: - الرّشوة لخوف على نفسه أو ماله أو ليسوي أمره عند السّلطان أو أمير (8).

قال القرطبي المالكيّ: - روي عن وهب بن منبه (إمام تابعي) أنّه قيل له: - الرّشوة حرام في كلّ شيء؟ فقال: لا، إنّما يكره من الرّشوة أن تعطى ما ليس لك أو تدفع حقًا قد لزمك، فأمّا ترشي لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس بحرام.

قال أبو اللّيث السّمرقنديّ الفقيه: - وبهذا نأخذ، لا بأس بأن يدفع الرّجل عن نفسه وماله بالرّشوة، وهذا روي عن ابن مسعود أنّه كان بالحبشة فرشى بدينارين، وقال: - إنّما الإثم على القابض دون الدّافع (9) .

قال ابن الأثير في النّهاية لغريب الحديث بعد ذكر الحديث ولعن الرّاشي: - فلمّا ما يعطى توصّلا إلى أخذ حقّ أو دفع ظلم فغير داخل فيه روى أنّ ابن مسعود أخذ بأرض الحبشة في شيء فأعطى دينارين حتّى خلّي سبيله. اهـ .

قال القاري في مشكاة المصابيح المسمّى مرقاة المفاتيح: -الرّشوة ما يعطى لإبطال حقّ أو لإحقاق باطل، أمّا إذا أعطى ليتوصّل به إلى حقّ أو ليدفع به عن نفسه

ظلما فلا بأس. اهـ.

قال ابن القيّم، رحمه الله، في الزّاد: - وهذا أصل معروف من أصول الشّرع أنّ العقد والبذل قد يكون جائزا، أو مستحباً أو واجبا من أحد الطّرفين، مكروها أو محرّما من الطّرفالآخر، فيجب على الباذل أن يبذل، ويحرم على الآخذ أن يأخذه. (10)

قلت: - ونُقُول الأئمّة وفتاواهم في هذه المسألة كثيرة جداً ولم أر مانعا لها سوى الشّوكاني في نيل الأوطار، وعند النّظر فيه تبيّن أنّ حديثه عن إعطاء الرّشوة للقضاة لتحصيل حقّ له، فمنعه، وهذا شيء آخر غير مسألتنا هذه.

قلت: - وبهذا يتبيّن لنا جواز دفع هذا النّوع من المال إلى الظّلمة وغيرهم لدفع ضرر عنك دون حرج في ذلك مع إثم الآخذ وظلمه.

والله الموفق للصواب

الهوامش:

(1) شرح الآثار 333/14.

(2) شرح السنّة للبغوي 88/10.

(3) معالم السنّة 4/149.

(4) شرح السنّة 88/1.

(5) شرح مشكل الآثار 333/14.

(6) المحلّى 9/157-158.

(7) مجمع الفتاوى 258/29. وانظر -المظالم المشتركة ففيها الكثير من النّصوص.

(8) الأشباه والنّظائر ص158.

(9) الجامع لأحكام القرآن 183/6.

(10) زاد المعاد 5/792.

قضية للمناقشة

بقلم :

الأستاذ عبد الحكيم الزّافعي

الوعي أولا

1 - ليس عبثا أن تكون أوّل كلمة في آخر رسالة هي: إقرأ!

مع أنّه قد يتبادر للذّهن لأوّل وهلة أنّ المناسب البدء بـ: وحّد، أو صلّ، أو آمن... أو غير ذلك ممّا يعتقد الذّهن البشريّ أنّ البداية به أولى وأنسب. ولكن لا، لقد أراد الله سبحانه أن تكون البداية بهذه الكلمة.

فما هي القراءة المطلوبة؟

إنّ تكرار الطّلب من أمّيٍّ بالقراءة والإصرار على ذلك، معناه أنّ القراءة المطلوبة ليست هي القراءة التي تفكّ الحرف، بل إنّها قراءة من نوع آخر، بيّنها الله سبحانه في آية أخرى، قال تعالى: (ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ وإن هم إلاّ يظنّون) [البقرة:78].

والأمانيّ: التّلاوة دون فهم المعنى، ولذلك قال: (لا يعلمون) ولم يقل: (لا يقرءون). فالأمّيّة هنا أمّيّة فكريّة، أو أمّيّة ربط واستنتاج. وهذا يعني أنّ القرآن العظيم يعدّ الوقوف عند مستوى قراءة الحروف ضربا من الأمّيّة.

لا أريد أن أطيل في الكلام حول هذه الآية، فلعلّني أعود إليها في مقال آخر، وحسبي أن آخذ منها عنوان هذا المقال: الوعي أوّلا!

2 - إنّ هدف ما نكتب، وما نقول يجب أن يكون تكوين الوعي.

وبداية كلّ انطلاقة إن لم تكن مبنيّة على الوعي فأمرها إلى خراب.

وكله قراءة يجب أن تهدف إلى إيجاد الوعي بالإسلام أوّلا، وبالواقع ثانيا، من خلال تركيز مجموعة من المفهومات والمعايير.

هدف الوعي تغيير ما في الأنفس، وهذا لا يتمّ إلاّ بغرس القيم المؤصّلة تأصيلا شرعيّا، القيم القادرة على صناعة القرار، والتّأثير في السلوك، فإنّ: (العلم الذي هو العلم المعتبر شرعا -أعني الذي مدح اللهُ ورسولهُ أهله على الإطلاق- هو العلم الباعث على العمل الذي لا يُخلي صاحبَه جاريا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيِّد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعا أو كرها) (1).

وبناء الوعي يجب أن يتمّ بعيدا عن اللّفظيّة الميّتة المميتة، التي حولت الحقائق الحيّة التي فجّرت طاقات الأمّة فيما مضى إلى حقائق خامدة، على حدّ تعبير بعضهم.. إنّ التّحدّي الذي يواجه أيّ محاولة للبناء هو في كيفيّة بناء المعلومة بصفتها واقعا اجتماعيّا حيّا، وليس مجرّد تصوّرات نظريّة ميّتة.

وبناء الوعي -قبل كلّ شيء- بناء لمنهج المعرفة على ضوء الكتاب والسنّة وهدي السلف مصحوبا بأدلّتهم. وقناعتنا بأنّ الفهم الصّحيح للإسلام على ضوء المنهج المشار إليه سيُحدث وعيا عظيما، وأثرا عميقا، لأنّه قادر على تصفية المفهومات الخاطئة التي استقرّت في ذهن الأمّة، ولأنّه قادر على تحليل الواقع وفهمه.

3 - وفي السّاحة جهود لا نبخسها حقّها، فإنّ الظّلم ظلمات، وكيف والواقع شاهد لهم ولجهودهم، بفضل الله تعالى ذلك، فليفرحوا به.

ولكنّنا مع ذلك لا نحرم أنفسنا حقّ التّقويم للتّعديل والإفادة ليس إلاّ. وذلك أمر مهمّ، فالملاحظ أنّ الخطاب الإسلاميّ المعاصر عاجز -على الأغلب- على بثّ الوعي. ويعود هذا إلى عدّة أسباب، ولكنّي أودّ الإكتفاء بذكر سبب واحد للمناقشة.. فما هو هذا السّبب؟

---

(1) - الموافقات: 69/1.

4 - لازال الخطاب الإسلاميّ -على الغالب- متأثرا بخطاب الأربعينيّات والخمسينيّات والستّينيّات، يكرّره، أو على أحسن الأحوال يُعيد انتاجه، ويبدو لي أنّ السّبب في ذلك أنّ جيل الروّاد لم يتكرّر، فنحن نشكوا -بكلّ صراحة- من نقص في العلماء المفكّرين الروّاد.

لقد كان لتلك المرحلة سماتها وظروفها الخاصّة بها، وكان لها -من ثمّ- خطابها المناسب لها -غالبا- فمن الخطإ إذن أن نسحب هذا الخطاب لنخاطب به هذه المرحلة المختلفة بِسماتها وظروفها عن تلك المرحلة اختلافا بيّنا.

وإليك -عزيزي القارئ- بعض سمات ذلك الخطاب، ومن غير تعنيف لأنّه كما يقال: لكلّ بداية دهشة. وقد أحسنوا إذ اجتهدوا، وبذلوا وُسعهم رحمهم الله تعالى وأجزل مثوبتهم. إنّما العتبُ الجميل أحيانا، والعنيف أحيانا أخرى على من تخلّص من ضغوط واقعهم، ودهشة بداياتهم، ومع ذلك يبقى مصراً على التكرار والإجترار. إذن هذه بعض السّمات مع التّنبيه على أنّها تتوزّع على جميع الإتّجاهات، وليس بالضّرورة أن تجتمع في اتّجاه واحد:

1- عدم التّأصيل: فلقد غلب على الخطاب الإسلاميّ التّنظير المنقطع عن أصول التّشريع، والبعيد عن قولبته في أحكام شرعيّة.

2- الحماسة -في غير محلّها بالطّبع-. لقد كان من المناسب في مرحلة معيّنة حيث المدّ الشّيوعيّ والقوميّ، وحيث الجهل المطلق بالإسلام، أن يكون الخطاب حماسياً يهدف إلى إعادة الثّقة بالإسلام، من خلال التّعميمات. والنّاس تسأل الآن: نعم... نريد الإسلام، فماذا بعد؟ وكيف يصل الإسلام؟

3- ردّات الأفعال: «فبدلا من أن تترجم الجهود الذّهنيّة عن نفسها في صورة مذهب دقيق للنّهضة، ومنهاج منسجم، كانت تنطلق على صورة شعلات دفاعيّة أو جداليّة».

4- غلبة النّظر الجزئيّ على النّظر الكلّيّ.

5- غلبة النّظر المذهبيّ، والتّعصّب له، وقلّة الإنصاف.

6- عدم الإستمرار القويّ، فبعض المحاولات فقدت وهج البداية مع موت

المؤسّس، أو غياب جيل الروّاد. وسبب ذلك عدم بناء وتحضير الكوادر البديلة.

7- الإنعزال عن هموم النّاس، وحاجات المرحلة، والميل إلى البحوث النّظريّة التي تخصّ قرونا مضت.

... هذه بعض السّمات، التي لا تنشئ الوعي، وهي تحتاج لشرح وتفصيل.

ولكن فما بال الخطاب المعاصر المبنيّ على الوعي، والذي ينشئ الوعي بدوره، كيف ينبغي أن يكون؟

إنّنا بحاجة لخطاب:

1- يواجه حاجات وتحدّيات المرحلة.

2- يوضّح المفاهيم الصّائبة، والقيم الحيّة، ويربّي النّاس عليها. وأثنا ذلك يعرّي المفاهيم السلبيّة المثبّطة.

3-يغلّب النّظر الكلّيّ على النّظر الجزئيّ.

4- يفيد من الخطاب السّابق، من خلال انتقاء الصّواب، انتقاء مبنيًا على الدّليل، وليس انتقاءً مزاجيًا.

5- يبني منهجا معرفيًا، قادرا على التّفاعل مع النصوص وفهمها، وعلى تحليل الواقع.

6- يركّز على المعنى التّربويّ للقيم، فرهان الخطاب الإسلاميّ هو كيفيّة بناء القيم بصفتها واقعا اجتماعيًا حيًا، وليس مجرّد تصوّرات نظريّة ميّتة.

7- يخاطب الأمّة بمجموعها بعيدا عن واقع اللاّفتات.

هذه القضايا توجد بالوعي، وتوجده!

وبهذه القضايا نوجد الوعي الذي يتجاوز الطّرح النّظريّ الضّبابيّ إلى الطّرح العلميّ المبنيّ على القواعد الشّرعيّة، حتّى تتحوّل محتويات الخطاب الإسلاميّ من معان غير ملزمة، وغير فاعلة، وغير واعية، إلى وعي مُجسّد، وإلى أداة نقديّة تكشف الواقع، وتدعو إلى الإحساس به.

إنّ الوعي الذي ندعو إليه، ونركّز عليه، هو الوعي بمجموع المفاهيم المستنبطة من أصول الإسلام، تلبية لحاجات الواقع، ومتطلّبات النّهضة، ضمن فقه للأولويّات في ترتيب هذه المفاهيم.

وبهذا تبنى الشّخصيّة المسلمة الواعية القادرة على التّغيير، وإحداث النّهضة بإذنه تعالى.

والله أعلم.

... وطبيعة هذه الرّسالة الاستقامة. فهي قائمة كحدّ السّيف لا عوج فيها ولا انحراف، ولا التواء فيها ولا ميل، الحقّ فيها واضح لا غموض فيه ولا التباس، ولا يميل مع هوى ولا ينحرف مع مصلحة، يجده من يطلبه في يسر وفي دقّة وفي خلوص.
وهي لاستقامتها - بسيطة لا تعقيد فيها ولا لفّ ولا دوران، لا تعقّد الأمور ولا توقع في إشكالات من القضايا والتّصوّرات والأشكال الجدليّة، وإنّما تصدع بالحقّ في أبسط صورة من صوره، وأعراها عن الشّوائب والأخلاط، وأغناها عن الشّرح، وتفصيص العبارات وتوليد الكلمات، والدّخول بالمعاني في الدّروب والمنحنيات! يمكن أن يعيش بها ومعها البادي والحاضر، الأمّيّ والعالم، وساكن الكوخ وساكن العمارة، ويجد فيها كلّ حاجته، ويدرك منها ما تستقيم به حياته ونظامه وروابطه في يسر ولين.
وهي مستقيمة مع فطرة الكون وناموس الوجود، وطبيعة الأشياء والأحيان حول الإنسان، فلا تصدم طبائع الأشياء، ولا تكلّف الإنسان أن يصدمها، إنّما هي مستقيمة على نهجها، متناسقة معها، متعاونة كذلك مع سائر القوانين التّي تحكم هذا الوجود وما فيه ومن فيه.
وهي من ثمّ مستقيمة على الطّريق إلى الله، واصلة إليه موصلة به، لا يخشى تابعها أن يضلّ عن خالقه، ولا يلتوي عن الطّريق إليه. فهو سالك دربا مستقيما واصلا ينتهي به إلى رضوان الخالق العظيم.
والقرآن هو دليل هذا الصّراط المستقيم، وحيثما سار الإنسان معه وجد هذه الإستقامة في تصويره للحقّ، وفي التّوجيه إليه، وفي أحكامه الفاصلة في القيم، ووضع كلّ قيمة في موضعها الدّقيق..

في ظلال القرآن
سيّد قطب - رحمه الله -

شيء من أبي الطّيب
(مع لاميّته)

الدكتور محمّد العبد الرّحيم السّبيعيّ

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله..

لست أدري لماذا قفز إلى ذهني المتنبّي عندما كلّمني أحد الإخوة الأحبّة في موضوع الكتابة في هذه المجلّة المباركة إن شاء الله، ولماذا قفزت إلى خاطري قصيدته اللاّميّة التي قالها بعد خروجه من مصر وقد أرسل إليه سيف الدّولة ببعض الهدايا فقالها يمدح سيف الدّولة.

أقول: لست أدري لماذا قفزت إلى خاطري هذه القصيدة، أهو الاستخذاء الذي تعيشه أمّتنا في هذه الأيّام، أم هو الوهن الذي دبّ في أوصالها حتّى النّخاع فلم يترك عرقا إلاّ ودخله، ولم يبق عالم ولا جاهل إلاّ أخذ منه بنصيب، أم هو حبّ الدّنيا الذي ملك علينا الفؤاد مع أنّها:

من رآها بعينها شاقَهُ القُطّا　　　　نُ فيها كما تشوقُ الحُمُولُ

من عرفها على حقيقتها وأنّها زائلة، اشتاق للمقيمين كما يشتاق للظّاعنين لأنّ المقيمين عن قريب راحلون.

وإنّه من يتصفّح هذه القصيدة، وأشعار المتنبّي عموما، لا بدّ أن يقرع سمعه وبشدّة صهيل الخيل، وقعقعة السّلاح، حتّى إنّك لتبصره في الغزل:

إن تَرَيْنِي أدُمْتُ بعد بياضٍ　　　　فَحَمِيدٌ من القناة الذّبولُ

وحتّى العطايا والجود من هذا النّوع الذي فيه القتل والقتال وما يمتّ للحرب بصلة:

وَمَوَالٍ تُحْيِيهم من يَدَيْهِ ... نِعَمٌ غيرهم بها مَقْتُولُ:

فرسٌ سابقٌ ورمحٌ طويلٌ ... ودلاصٌ زُغْفٌ[1] وسيفٌ صقيلُ

فلله درّها من عطايا..

وانظر إليه واسرح بفكرك وهو يقود هجوما بشعره وكأنّه يصوّر المعركة أمامك:

كلّما صبّحتْ ديارَ عدوٍّ ... قال: تلك الغُيُوثُ هذي السُّيُولُ

دَهِمَتْهُ تُطايِرُ الزَّرَدَ المحكَمَ عنه كما يَطِيرُ النَّسِيلُ[2]

تقنِصُ الخيلَ خيلُهُ قَنَصَ الوحشِ ويَسْتَأْسِرُ الخميسَ الرَّعِيلُ

وكم استوقفتني أبياته ورقص فؤادي لها طربا وهو يصوّرُ سيف الدّولة شاهرا سيفه يذبّ عن عرضه:

ليس إلاّكَ يا عليُّ هُمَامٌ ... سيفُهُ دون عِرْضِهِ مسلولُ

ويمضي في روعته:

كيفَ لا يأْمَنُ العراق ومصرٌ ... وسراياكَ دونها والخُيُولُ

لو تحرّفْتَ عن طريق الأعادي ... رَبَطَ السِّدْرُ خيلَهُمْ والنَّخِيلُ

ويصوّر سيف الدّولة بحياته القائمة على الجهاد، الحياة التي ليس فيها راحة يصوّرها أروع تصوير في بيت يحمل كلّ همّ الجهاد:

أنت طُولَ الحياة للرُّومِ غازٍ ... فمتى الوعدُ أن يكون القُفُولُ

وما أعظمه بل ما أبعد نظره وهو يصوّر مقاتلة سيف الدّولة للعدوّ الخارجيّ والدّاخليّ، والذين يمثّلون رُوماً آخرين:

---

(1) الدّلاص: الدّرع البرّاقة. الزّغف: اللّيّنة الملمس.

(2) النّسيل: الوبر السّاقط عن البعير.

وسوى الرُّومِ خلف ظهرك رومٌ فعلى أيِّ جانبيك تميلُ

فقل لي بربك أيّها القارئ الحبيب، ألا تشعر أنّه يصوّر حياة المجاهدين الآن، روم أمامهم وروم خلفهم، فمن أين يتلقّونها، وعلى أيّ جنب يميلون بل إنّ الرّوم الذين خلفهم هم أظلم وأطغى، وأشدّ عداءً وأنكى، ونحن نقول بل يجب الميل على الذين خلف الظّهور قبل الميل على الرّوم الذين أمامنا.

وما أعظم همّة سيف الدّولة الذي قام حين قعد النّاس، وصنع العزّة بسيفه حين هان النّاس، وأدار كؤوس المنايا في الوقت الذي أدار فيه القاعدون كؤوس الخمر:

قعد النّاس كلُّهم عن مساعيـ ـكَ وقامت بها القَنا والنُّصُولُ

ما الذي عنده تُدارُ المنايا كالذي عنده تُدارُ الشُّمولُ[1]

ومن هذه صفاته، وهذه شيمته، وهذه همّته، يستحقّ أن يقول فيه المتنبّي:

ما أبالي إذا اتّقتْكَ المنايَا من دَهَتْهُ حُبُولُها والخُبُولُ[2]

ونحن نقول للإخوة المجاهدين الذين قاموا في زمن القعود، وعزّوا في زمن الهوان، ورفعوا رؤوسهم في زمن الصّغار، وبذلوا وسعهم في زمن التّقاعس، نقول لهذا الأخ المجاهد:

ما أبالي إذا اتّقتْكَ المنايَا من دَهَتْهُ حُبُولُها والخُبُولُ

وحفظك الله.

(1) الشُّمول: الخمر

(2) يقول: لا يهمّني إذا لم تصبك الأقدار بالبلايا والمصائب أن تصيب غيرك، فالأمل في حفظ البيضة وحماية العرض معقود عليك أنت وحدك..

سلسة:
الذب الأحمد
عن شريعة أحمد ﷺ

بغية القاصد في بيان قواعد المصالح والمفاسد

بقلم الشيخ/
أبوالوليـــد الأنصـــاري

إنّ الحمد لله أحمده تعالى وأستعينه وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وسلّم تسليما كثيرا..

أمّا بعد..

فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ الشّرائع كلّها قد اتّفقت على أنّ تحصيل المصالح ودرء المفاسد -ما أمكن ذلك- أمر محمود ومطلوب، وسواء كان ذلك من المصالح الخاصّة أم العامّة إذ أنّ ذلك قوام المعاش والمعاد، وعلى ذلك قد اتّفق أولو النّهى والألباب أيضا.. كما أنّه لا خلاف كذلك في أنّ تحصيل المصالح يقدّم فيه تحصيل أعلاها فأعلاها، كما أنّ درء المفاسد يقدّم فيه الأشدّ فالأشدّ في تفصيل يأتي بيانه إن شاء الله تعالى، وإنّما ذكرت ما ذكرت ههنا على سبيل الجملة في هذه المقدّمة لأبيّن أنّ هذا الباب -على جلالة قدره وعظيم مكانته في الشّريعة- قد اجترأ عليه من لم يأخذ من العلم بنصيب، ولم يطرق له بابا أو يسلك له سبيلا، مع أنّ من أهل العلم -رحمهم الله تعالى- من قد توسّع في هذا الباب حتّى جعل مدارَ الشّريعة عليه ومعاد الفقه إليه، كما فعل الإمام الفقيه أبو محمّد عزّالدّين عبد العزيز بن عبد السّلام السّلميّ في كتابه الماتع "قواعد الأحكام في مصالح الأنام"..

قلت: ولا شكّ أنّ الفقه في الدّين من أعظم ما يؤتيه الله تبارك وتعالى عبدا من عباده

كما قال نبيّنا صلى الله عليه وسلّم في الصّحيحين والمسند من حديث معاوية رضي الله عنه: (من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدّين).. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على النّاس ولفضل التّفقّه في الدّين على سائر العلوم"..

قلت: ومعرفة هذا الباب الذي نحن بصدد الحديث عنه هو من أعلى مراتب الفقه، فإنّ تحصيل المصالح المحضة كلّها بحيث لا يشوب حصولها شيء من المفاسد، ودرء المفاسد المحضة كلّها بحيث لا يترتّب على درئها فوات شيء من المصالح مع كونه مطلوبا إلا أنّه متعذّر الحصول بل غالبا ما يقع التّعارض في الظّاهر بين المصالح المطلوب تحصيلها وبين المفاسد المطلوب دفعها بحيث لا يقع أحد المطلوبين إلا بفوات الآخر أو فوات بعضه وفي ذلك من المراتب ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، فمن آتاه الله تعالى فهما في كتابه وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم نظر إلى تحصيل ما أمكن من المصالح ودفع ما أمكن من المفاسد أوّلا بحيث لا يفوت منها شيء فإن امتنع ذلك نظر فقدّم الأرجح فالأرجح بحسب ما تقتضيه أدلّة الشّريعة، وربّما خفي عليه وجه التّرجيح لسبب من الأسباب فيتوقّف فيه حتّى يظهر له وجهه. وهذا المقام كما ترى لا يقدر عليه أمثال ذلك المجترئ المغبون فإنّه ومن نحا نحوه يظنّون -وبئس ما يظنّون- أنّ القول في هذا الباب أمر هيّن سهل وهو ممّا يمكن إدراكه وتحصيله كلٌّ برأيه، إذ مبناه عندهم على سدّ ما يحتاجه النّاس في أمور معايشهم غالبا، وحتّى ما كان منها من مصالح الدّين بزعمه فمردّه إلى بلوغ أغراضهم وتحقيق شهواتهم أو الجهل بما تقتضيه أدلّة الشّريعة من ذلك، وإذا كان تقديم الصّالح على الأصلح معيبا عند ذوي العقول، فما ظنّك بتقديم ما يفوت بتقديمه من مصالح الآخرة ما هو بالنّسبة إلى مصالحها عدم أو كالعدم...؟!

ولذلك ترى القوم يخبطون في هذا الباب خبط عشواء، فما يعدّونه مفسدة في موضع ينقضونه ويعدّونه مصلحة في موضع آخر -لا بحسب تفاوت مراتبها في الشّريعة وما تقتضيه الأدلّة من ذلك- لكن بالتّحكّم الفاسد والرّأي المذموم، فيعتبرون جهة المصلحة من حيث لا يعتبرها الشّارع، ومن حيث يعتبرها فلا وجه لها عندهم.

وإن كنت تروم على ذلك مثالا يوضّح المقام فتأمّل ما تنازع النّاس فيه في هذه الأزمان المتأخّرة من دخول ما يعرف بـ (المجالس النّيابيّة) فإنّها على وضوح أمرها وجلاء حقيقتها وتصريح القائمين عليها بأنّها تتولّى سلطان التّشريع، فتقرّ من الشّرائع ما تشاء وتنفي ما تشاء، وهذا عين مضاهاة الله سبحانه في ربوبيّته، إلا أنّ فريقا من هؤلاء المجترئين المغبونين قد وقّعوا فيها عن ربّ العالمين ولا حجّة لهم في ذلك إلا زعمهم بأنّها من المسائل التي يتّسع فيها النّظر -أعني نظر أمثالهم- وهؤلاء -تشبّها بأهل الفقه- لهم

في المسألة أقوال:

– فمنهم من زعم أنّ دخولها هو عين إصابة المصلحة من تكثير سواد المسلمين وتقوية شوكتهم وسدّ احتياجاتهم في معايشهم وأرزاقهم، كما زعموا أنّ دخولهم إليها أولى من دخول غيرهم ممّن عداوتهم للدّين بيّنة واضحة..

– وذهبت طائفة إلى أنّ دخولها أو عدمه منوط برجحان المصلحة بدخولها أو عدمه، وذلك مختلف باختلاف الأماكن والبلدان فعند هؤلاء قد يكون دخولها جائز في بلد ما متى غلب على الظّنّ تحقّق المصلحة بدخولها وإلا فيمنع..

– وقول ثالث وهو قول بعض المتفيقهة منهم أنّ دخولها جائز لأجل الإنكار على من فيها وإبلاغ الحقّ لهم..

وهذه الأقوال مع كونها كما ترى تستند في ظاهرها إلى قاعدة المصالح والمفاسد في الشّريعة، إلا أنّها أقوال ساقطة مردودة باطلة، وأعظمها سقوطا وبطلانا الأوّل ثمّ الثّاني، وأمّا الثّالث فإنّه وإن كان يلتحق بسابقيه إلا أنّ التّلبيس والتّدليس فيه أعظم، وكأنّما أراد القائل به أن يجعله وسطا بين قول المبيحين وقول المانعين وظاهره إباحة دخولها ابتداءً، وإنّما النّزاع في هذا المقام فيه (أعني في دخول الدّاخل إليها عضوا من أعضائها) لا في السّبب الذي دخل لأجله، وأمّا الإنكار على من فيها وإبلاغ الحقّ لهم فلا تلازم بينه وبين دخولها عقلا ولا شرعا ولا عادة، بل الإنكار على من فيها مع اجتناب دخولها أبلغ في الإنكار وأعظم أثرا في إبلاغ الحقّ، بل هو تحقيق لما أمر الله تبارك وتعالى به من التّوحيد الذي لا يتمّ إلا بمعاداة أهل الشّرك والكفر والبراءة منهم ومن معبوداتهم وتشريعاتهم، واجتناب ما هم عليه من باطل وضلال، وتحذير النّاس منهم وكشف زيوفهم وفضح عيوبهم، فهذه هي المصلحة العظمى التي اعتبرها الشّارع في هذا المقام وضيّعها هؤلاء بأقوالهم السّاقطة المرذولة تلك..

وقد قال الله تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلّم في شأن الذين اتّخذوا مسجدا ضرارا وكفرا بالله ومحادّة له ومحاربة لدينه (لا تقم فيه أبدا)[التوبة 108] فنهاه عن القيام فيه ابتداءً ولو كان المقصود من القيام فيه التّعبّد لله تعالى والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلا يحلّ لأحد كائنا من كان أن يقول: يُستثنى من ذلك القيام فيه بقصد الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لأنّ اجتنابه ابتداءً مصلحة مقصودة للشّارع، وهكذا الشّأن في كلّ ما يبتنيه أولئك المبدّلون لدين الله المحادّون لشريعته من الهيئات والمجامع والمرافق التي يُلبسونها مسوح الإسلام ويحلفون بالله أنّهم ما أرادوا بها إلا الإحسان ببنائها والرّفق بالمسلمين والمنفعة والتّوسعة على أهل الضّعف والحاجة منهم، والله يشهد

إنّهم لكاذبون، إذ لو حَسُنَ في ذلك قصدُهم لما بدّلوا دين الله وغيّروا شريعته ولما حاربوا أولياءه وقرّبوا أعداءه وناصروهم وأحبّوهم، فحكم هذه الهيئات حكم مسجد الضّرار المذكور، بل هي أشدّ وأعظم لعظم نكايتها بالإسلام وأهله، ثمّ إنّك ترى الكثير من النّاس يخالط أهل الكفر ودعاة البدعة وأرباب الخنا والفجور، ويري ما يرى من كفرهم وباطلهم ولا يمنعه ذلك من أن يكون جليسهم وأكيلهم وشريبهم، فإذا ما أنكر ت عليه ذلك تذرّع بمصلحة دعوتهم إلى دين الله وبيان الحقّ لهم، والله يعلم أنّه بذلك كاذب مقدّم بين يدي الله ورسوله مفتئت على أحكامه مجترئ على شريعته، ولو كان الأمر على ما يدّعيه من المصلحة لراعى أمر الشّارع بالتزام ما أُمِرَ به من هجران أهل الباطل ومفارقة أصحاب الضّلالات والبدع والأهواء كما كان عليه سلف هذه الأمّة وأئمّتها ممّا هو أبلغ أثرا وأعظم نكاية في نفوس أصحاب الضّلالات والأهواء، وأحفظ لدين الله وشريعته من تلبيس الحقّ بالباطل والهدى بالضّلال مع موافقته لما يحبّه الشّارع وهو مراد له في هذا المقام، وإنّما أعرض من أعرض عن القيام بهذا الأصل الواجب إمّا لجهله بمراتب المصالح والمفاسد في الشّريعة وما يعتبر فيها وما لا يعتبر، وإمّا خوفه ممّا يترتّب على ذلك من التّبعات والتّكاليف، فإنّ هجران أهل الكفر والضّلال ومعاداتهم ومفارقة أهل الأهواء والبدع ينبني عليه من الإيذاء والإبتلاء وكثرة الأعداء والخصوم مع ضيق العيش والجهد ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وإمّا طمعه في أن يحصّل من أيديهم عرضا من أعراض الدّنيا من مال أو جاه أو سلطان، ولأجل ذلك كلّه فمراعاة قواعد المصالح والمفاسد في الشّريعة يقتضي حرمة دخول هذه المجالس ابتداءً من جهة كون اجتناب دخولها تحقيقا للتّوحيد الذي أمِرنا به وهو الوجه الذي اعتبره الشّارع، والواجب اعتبار ما اعتبره ولا مزيد.

أمّا التّحكّم في دين الله بلا دليل ولا برهان والتّقوّل على شريعته بالآراء الفاسدة فلا يعجز عنه من لا دين له ولا عهد له ولا أمانة له وإن ادّعى أنّ مقصده تحصيل مصلحة أو دفع مفسدة، بل إنّه ما من أحد من الخلق يُقدم على فعل شيء ما إلا وهو يدّعي أنّ المصلحة في فعله، وقد قال ربّنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم حكاية عن فرعون لعنه الله أنّه قال لملئه في شأن موسى عليه السّلام: (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)[غافر 26] فزعم عدوّ الله أنّ علّة قتل موسى إنّما هي دفع الفساد من الأرض والذي كان عنده بتبديل الدّين الذي هم عليه أو إظهاره عبادة ربّه الذي يدعوهم إلى عبادته وأنّ المصلحة إنّما هي بتمسكهم بما هم عليه من عبوديّتهم له ودخولهم في دينه، وقد حكى سبحانه قول الملإ لفرعون فقال: (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك، قال سنقتل

أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنّا فوقهم قاهرون)[الأعراف 128] فزعموا، قاتلهم الله، أنّ إبقاء فرعون على موسى وقومه سبب في إفساد خدمه وعبيده وأهله عليه وأنّه سيدعوهم إلى ترك خدمته وعبادته فأجابهم لعنه الله بموافقته لهم على اعتبار ذلك مفسدة وزادهم بأنّ دفعها يكون بقتل الأبناء واستحياء النّساء.

وقال تعالى عن الملإ من كفّار قريش لمّا دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عبادة الله وحده.(وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يُراد * ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق) [ص6-7] وقوله: (إنّ هذا لشيء يراد) قال ابن جرير رحمه الله تعالى : أي أنّ هذا القول الذي يقول محمّد ويدعونا إليه من قول لا إله إلاّ الله شيء يريده منّا محمّد يطلب به الإستعلاء علينا وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك. قلت فزعموا أنّ اتّباعه على ذلك مفسدة وأنّ المصلحة تقتضي الصّبر على آلهتهم والتزام عبادتها والمضيّ على ماهم عليه من الدّين الذي أدركوا عليه آباءهم وأجدادهم.

وإليك ثانية أدهى وأمرّ بل هي لعمر الله من إحدى الكبر، وهي -وما أدراك ماهيه- ما قام به أئمّة الكفر وأساطين الرّدّة في زماننا من عقد (سلام) دائم مع اليهود، وهذه مسألة أحسب أنّ الله تعالى لو أنطق بها البهائم العجماوات لنطقت بأنّها من أشدّ البهتان وأعظم الكفران بشريعة الواحد الدّيّان، وأنّ الواجب على هذه الأمّة قتال كلّ صائل على دين الله وشريعته أو على بلاد أهل الإسلام ودماء المسلمين وأعراضهم ومنهم اليهود لعنهم الله، ومع ذلك لا يرعوي الأفّاك الأثيم العتلّ الزّنيم خالعا ثوب الحياء من الله عزّ وجلّ عاريا عن لباس التّقوى والدّين هاتكا ستر الله عليه فاضحا خبيئة نفسه أن يقول إنّ مردّ ذلك إلى ما يراه أساطين التّوحيد وأركان الشّريعة حكّام بلاد المسلمين من المصلحة والمفسدة، لا بل ما فعلوه هو عين المصلحة التي لا تشوبها مفسدة أبدا...! وإذا كان الأمر كذلك فـ(السّلام) مع اليهود جائز بل مستحبّ بل واجب إذ أنّ الشّرائع قد اتّفقت على أنّ تحصيل المصالح أمر مطلوب ومن المصالح ما قد يكون واجب التّحصيل -هذا هو الفقه -زعموا- فخذوها يا أعداء الله شجا في حلوقكم تسير بها الركبان ويتسامر بها الشّبّان:

والله لو نطق الجماد لسبّكم	سبّ الغضوب لربّه الدّيّان
والجهل يبرأ أن يحلّ بساحكم	يجري يولول من صنيع الجاني
هذا العمى بعد الهدى فلتجرعوا	غصص الهجا أو شوكة السّعدان
فإليكمو نجلاء تطعن في الحشا	طعن الكمي يكرّ غير جبان

وإنّما مثّلت بهذين المثالين لوضوحهما وجلاء أمرهما وإلاّ فسيأتي مزيد بيان لمسائل كثيرة قد زلّت فيها الأقدام واختلطت فيها الأفهام، ومنها ما قد يخفى وجهه على النّاظر أوّل الأمر لدقّة مأخذه وخفاء وجهه، قال العلاّمة العزّ بن عبدالسّلام في كتابه المذكور في بيان ما تُعرف به المصالح والمفاسد: "فمن وفّقه الله وعصمه أطلعه على دقّ ذلك وجلّه ووفّقه للعمل بمقتضى ما أطلعه عليه فقد فاز وقليل ما هم" قال "وقد كنّا نعدّهم قليلا فقد صاروا أقلّ من القليل وكذلك المجتهدين في الأحكام من وفّقه الله وعصمه من الزّلل أطلعه على الأدلّة الرّاجحة فأصاب الصّواب فأجره على قصده وصوابه بخلاف من أخطأ الرّجحان فإنّ أجره على قصده واجتهاده ويعفى عن خطئه وزلله.

قلت، ونذكر فيما يلي إن شاء الله تعالى جملة من القواعد والمسائل التي ينبني عليها معرفة المصالح والمفاسد في الشّريعة فنقول وبالله التّوفيق:

فصل في أنّ أصل ذلك تعظيم ما جاء من عند الله وما جاء من عند رسوله ﷺ

فإنّ الله سبحانه قد خلق الخلق ليوحّدوه ويعبدوه، وبيّن لهم أنّه خلق لهم ما في الأرض جميعا منه وأمرهم أن يمشوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه وبيّن لهم سبحانه أنّه جعل الطّريق طريقين فقال: (وهديناه النّجدين) [البلد 10] وقال: (إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكرا وإمّا كفورا) [الإنسان 3] .. ولأجل هذه الغاية أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه يأمرونهم بطاعة الله وتوحيده، وينهونهم عن معصيته والكفر به، وجعل اتّباعهم دليل صدقهم وعنوان نجاتهم فقال تعالى: (قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران 31]، كما جعل مخالفتهم والإعراض عن دعوتهم دليل خسارتهم في الدّنيا والآخرة كما قال تعالى: (قل أطيعوا الله والرّسول فإن تولّوا فإنّ الله لا يحبّ الكافرين) [آل عمران 32]، ثمّ إنّهم وآخرهم نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ما تركوا ولا ترك شيئا يعلمه من خير إلاّ ودلّ الأمّة عليه وما ترك شيئا يعلمه من شرّ إلاّ وحذّر الأمّة منه؛ رأفة بهم وشفقة عليهم كما قال عنه سبحانه: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [التّوبة 128]، فما أمر به نبيّنا صلوات الله عليه وسلامه فإنّه عين المصلحة وأساسها وعمادها، وما نهى عنه فإنّه المفسدة المحضة الواجب اجتنابها، إلاّ أنّ النّاس في ذلك على مراتب: فأعلاهم مرتبة وأرفعهم مقاما وأحبّهم إلى خالقه وأقربهم يوم القيامة من النّبيّ صلى الله عليه وسلّم

منزلا من كَمُلَ إيمانه وعظم بالله يقينه وامتلأت نفسه بمحبّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلّم فبادر إلى امتثال ما أمر به صلوات الله وسلامه عليه واجتناب ما نهى عنه دون أن يعلّق ذلك على ظهور وجه المصلحة في امتثال المأمور به ووجه المفسدة في اجتناب المنهيّ عنه إذ أنّ عين المأمور به مصلحة كما أنّ عين المنهيّ عنه مفسدة وكلاهما مطلوب للشّارع الكريم، وهذا مقام صحابة نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنهم أجمعين، وليس هذا من باب إبطال البحث في علل تلك الأحكام أو النّظر في حكمة الأمر والنّهي في شيء، بل إنّ معرفة ذلك ممّا يزيد المرء يقينا وإيمانا بأنّها من صنع الحكيم الخبير، لكن شتّان بين من حرّم الخمر مثلا لنهي الشّارع عنها سواء ظهرت له المصلحة في تحريما أم لا، وبين من حرّمها باحثا عن حكمة تحريم الشّارع لها فبان له أنّها تذهب العقل وتفسده وقد يكون ذلك بعض أوجه الحكمة في تحريم الشّارع لا كلّها، وكذلك من حرّم الزّنا واجتنبه لمجرّد نهي الشّارع عنه طاعة وامتثالا وبين من حرّمه باحثا عن علّته فظهر له أنّها اختلاط الأنساب مثلا، وهذه المرتبة الثّانية بينها وبين التي قبلها فرق ظاهر..

وأمّا المرتبة الثّالثة فهي مرتبة من لم يقدّم ما قدّمه الشّارع ولم يؤخّر ما أخّره إلاّ مع رجاء حصول مصلحة عاجلة في الدّنيا، وهذا الفريق متى لم يظهر له وجه هذه المصلحة العاجلة فربّما وقع في المحظور وخالف مقصود الشّارع بارتكاب منهيّ عنه أو ترك مأمور به ومن مثله يقع تقديم الصّالح على الأصلح والمرجوح على الرّاجح وهؤلاء هم المقصودون في كتابنا هذا في المقام الأوّل..

ومن علم أنّ لا منجاة له في الدّنيا والآخرة ولا بلوغ إلى مرضاة الله وجنّاته إلاّ باتّباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلّم قدّم اتّهام رأيه وعقله على اتّهام الشّرع والدّين وظنّ بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم الخير كلّه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: "إذا حدّثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فظنّوا برسول الله صلى الله عليه وسلّم الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه" [رواه ابن ماجة في السّنن]، وإنّما مثل العباد مع ما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كمثل رجل أتى في طريقه أرض معشبة مُسْبِعة كثيرة الهوامّ والدّوابّ والسّباع عظيمة الحيّات والعقارب وقف على رأسها دليل يهدي السّالك الطّريق قد خبر شعابها ودروبها ومسالك النّجاة فيها فمن أخذ بقوله واهتدى أدلج ونجا، ومن عصاه وخالفه أصابته تلك الآفات فضلّ وهلك، وأحسن من مثالي هذا وأزكى وأطهر ما مثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلّم -بأبي هو وأمّي- فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه أنّ النبيّ

صلى الله عليه وسلّم قال: "مثلي ومثل ما بعثني الله به كمل رجل أتى قوما فقال يا قوم إنّي رأيت الجيش بعيني، وإنّي أنا النّذير العُريان، فالنّجاء النّجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذّبه طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتّبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحقّ"..

وما مثّل به كذلك وهو في الصّحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أيضا أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها ناسا شربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنّما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.".

وما مثّل به صلوات الله وسلامه عليه وهو في الصّحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: "مثلي كمثل رجل استوقد نارا، فلمّا أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدّوابّ التي يقعن في النّار، يقعن فيها، وجعل يحجزهنّ ويغلبنه فيقتحمن فيها، فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحُجَزكم عن النّار: هلمّ عن النّار، هلمّ عن النّار، فتغلبوني، فتقتحمون فيها.".

وبالجملة فليس أحسن للعبد من مقام التّسليم المطلق لله تبارك وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلّم فإنّهما ما أمرا بأمر إلاّ وفيه مصلحة الدّنيا والآخرة أو إحداهما وما نهيا عنه إلاّ وفيه مفسدة الدّنيا والآخرة أو إحداهما وما قد يخالط ذلك من بعض ما يشقّ على النّفوس من تكاليف امتثال الأمر والنّهي فإنّما هو في ذلك كالمريض الذي يصبر على مرارة وآلام الدّواء لما يرجوه من أجل العافية والشّفاء وربّما تشاغل بالنّظر إلى حسن العاقبة فهان عليه ما هو فيه من الحال وهذا هو مقام أهل الإحسان وهو علامة صدق الإيمان كما قال ربّنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلّموا تسليما) [النّساء65]..

(يتبع)



و يا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة و تدعونني إلى النّار

تعريف:

هذه الكلمات الرائعة كتبها أخ لكم وألقاها أمام المحكمة العسكريّة في الأردن، وبها كشف للطّواغيت وأذنابهم أصل دعوة المسلم في هذا العصر وكلّ عصر، والأخ الأسير أحمد الخلايلة (أبو مصعب) أخ حكم عليه في سجون الطّواغيت 15 سنة، وإنّنا لنرجو أن تكون كلماته هادية للمسلمين وحجّة على الطّغاة والمستكبرين، والأخ أبو مصعب وأبو محمّد المقدسي بعد الحكم عليهما قامت السلطّات قبل أسابيع قليلة بإعادتهما إلى دائرة المخابرات لطبخ تهمة جديدة ضدّهما، ألا لعنة الله على الكافرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم إله المرسلين الذي أنزل الكتاب المبين على قلب نبيّه ليكون نذيرا للعالمين مالك يوم الدين الذي له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، ثمّ الصّلاة على خير من بعث فأدّى وبلّغ فأوفى وراوده المشركون للتّنازل عن دينه، فأبى فصلوات الله وسلامه عليه تترى حتى يقبل ربّنا ويرضى..

أمّا بعد..

نحن قوم كنّا في جاهليّة جهلاء، في وقت عطّلت فيه أحكام الله المطهّرة ونسّي كتاب الله جانبا واستبدل بشرائع شتّى من أذهان وحثالات البشر فأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، والسنّة بدعة والبدعة سنّة، وأشيعت الفاحشة بين النّاس و فشى الزّنا في أشراف القوم وعامّتهم، وأصبح الرّبا والخمر يسمّيان بغير اسميهما تغطية للحقّ وتجميلا

لصورة الباطل وصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذ يقول في الحديث الصّحيح: «يشرب أناس من أمّتي الخمر يسمّونها بغير اسمها».. وقطعت الأرحام، واستبيحت الحرم، وأزهقت الأنفس، وسالت الدّماء بغير حقّ، كلّ ذلك كان سببه غياب حكم الله عزّ وجلّ الذي فيه السّعادة الأبديّة ـ قال تعالى: (أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون).. فمنّ الله علينا بأن أنار لنا طريق الهداية بعد ظلام دامس خيّم عليه الشّرك والفسوق والعصيان وبصّر أعيننا وأفئدتنا إلى الحقّ في وقت أصبحت فيه عيون كثير من النّاس مصابة بالعشى فنسأل الله العافية. قال تعالى: (أوَمَنْ كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها) وقال تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقا حرجا كأنّما يصّعد في السّماء) فنهضنا بفضل الله عزّ وجلّ ندعو النّاس للرّجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإلى متابعة أمره ونهيه والتّحذير من عصيانه ومخالفة أمره..

قال تعالى: (يا قوم اتّبعوني أهدكم سبيل الرّشاد * يا قوم إنّما هذه الحياة الدّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار) فلا سبيل للرّشاد إلا بالتّمسك بكتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، فلا يطاع غيره ولا يعبد غيره ولا يحكّم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين) وقال تعالى: (قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين) ولكن سنّة الله ثابتة في أنّ الحقّ والباطل يصطرعان إلى يوم القيامة فما راق لأصحاب الباطل أن يروا أصحاب الحقّ يدعون النّاس إلى التّوحيد، وما طاب لأهل الشّرك والتّنديد أن يروا أهل التّوحيد يخرجون النّاس من الظّلمات إلى النّور بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد.. قال تعالى: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون).

فرجوع النّاس إلى ربّهم معناه انتهاء جولة الباطل وانتهاء حكمهم وفقدانهم لملذّاتهم وشهواتهم فكيف يعيش رؤوس القوم سواسية مع المساكين والضّعفاء لهم ما للمساكين وعليهم ما على المساكين، قال تعالى: (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرّأي).. وقال تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدّنيا...).

روى الإمام أحمد وغيره في سبب نزول هذه الآية: أنّه «مرّ ملأ من قريش على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعنده خبّاب بن الأرتّ وصهيب وبلال وعمّار فقالوا: يا محمّد أرضيت بهؤلاء؟ أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا؟ لو طردت هؤلاء لاتّبعناك!! »..

فأرادوا أن يوقفوا هذا السّيل الجارف للباطل المطهّر للأرض من الشّرك فعملوا على محاربتنا بشتّى الوسائل، قال تعالى: (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) فقاموا باقتحام بيوتنا في جنح اللّيل وبثّوا الرّعب في النّساء والأطفال بحثا عن أناس لم يقبلوا بغير الله ربّا ولا بغير رسوله هاديا ولا بغير كتابه حكما..

فهذه الدّعوة نحملها لنزفّها إلى النّاس مبشّرين بجنّة عرضها السّماوات والأرض إن هم أطاعوا.. ومحذّريهم من عقاب الله إن خالفوه واتّبعوا أهواءهم.

أيّها القاضي بغير ما أنزل الله:

تعلم أنّ خلاصة دعوتنا متمثّلة بقول الله تعالى: (ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت).. فإنّ أوّل وأهمّ ما افترض الله على عباده تعلّمه والعمل به هو التّوحيد أي الكفر بالطّاغوت والإيمان بالله قال تعالى: (وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون) قال المفسّرون: «أي ليوحّدوني وحدي..».

وقد تظنّون أيّها القضاة أنّ العبادة إنّما هي الصّلاة والصّيام والزّكاة فقط فتقولون نحن نعبد الله وهل ترانا نعبد غيره؟ فنصلّي ونسجد ونصوم ونذبح لله فأقول لكم: إنّ العبادة ليس كما تفهمونها بهذا الفهم الضّيّق بل هي أوسع وأشمل ممّا تظنّون فكلمة التّوحيد التي خلق الله من أجلها الخلق وأرسل لهم الرّسل وأنزلت عليهم الكتب هي "لا إله إلا الله".

وتنقسم إلى شقّين:

شقّ النّفي وهو "لا إله" أي لا معبود بحقّ سوى الله فتنفي الألوهيّة عن غير الله فلا يعبد غيره في صيام ولا صلاة ولا حجّ ولا تشريع..

والشّقّ الآخر الإثبات وهو "إلا الله" أي إثبات الألوهيّة لله وحده فلا يطاع غيره في كلّ كبيرة ولا صغيرة..

فجاءت هذه الكلمة العظيمة كلمة التّوحيد التي لا ينجو العبد من النّار إلا بتحقيقها وبالإتيان بشروطها ومقتضياتها فقول الله عزّ وجلّ (فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) جاءت مفسّرة لهذه الكلمة العظيمة فقوله: (فمن يكفر بالطّاغوت) أي ينفي الألوهيّة والعبوديّة عن غير الله وقوله: (يؤمن بالله) إقرار وإثبات لعبوديّة الله وحده..

وقد ضمن الله لمن آمن به وحده وكفر بالطّاغوت بأنّه المستمسك بالعروة الوثقى، تلك العروة التي لا نجاة إلا بالتّشبّث بها فالصّلاة عروة والزّكاة عروة والحجّ عروة والصّدقة عروة وأعمال البرّ عرى كلّها ولكن من تمسك بأيّ عروة من هذه العرى ولم

يستمسك بعروة النّجاة "التّوحيد" لا شكّ أنّها تنفصم ولن تنفعه عند الله، قال تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا) لأنّها لم تؤسّس على التّوحيد الخالص.

قال تعالى: (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة) مرّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بدير راهب فناداه يا راهب فأشرف فجعل عمر ينظر إليه ويبكي فقيل له يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قوله عزّ وجلّ: (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) فذاك الذي أبكاني «عملتْ كثيرا ونصبت فيه وصُلّيت يوم القيامة نارا حامية»...

فلذلك أوّل ما يسأل العبد يوم القيامة عن توحيده وتحقيقه لعبوديّة الله وحده ولذلك جاء في الحديث الصّحيح عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا بعث معاذا إلى اليمن قال: «إنّك تقدم قوما أهل كتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله وفي رواية أنّ يوحّدوا الله فإن هم أجابوا فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وتردّ على فقرائهم...» فلم يدعهم بداية إلى الصّلاة والزّكاة والحجّ وغيرها من شرائع الإسلام ولكن أمره الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده قال تعالى: (ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت)..

والطّاغوت لغة: كلّ ما زاد عن حدّه قال تعالى: (إنّا لمّا طغى الماء حملناكم في الجارية) أي عندما زاد الماء عن حدّه حملناكم في السّفينة..

والطّاغوت اصطلاحا: هو كلّ ما عبد من دون الله وهو راض بالعبادة.. وتتنوّع أشكال الطّاغوت فتارة يكون الطّاغوت صنما وتارة قبرا أو إنسانا أو قانونا، ولقد كانوا في الجاهليّة الأولى يعبدون الأصنام ويذبحون عندها ويدعونها وجاء بعدهم من عبد القبور فيذبحون لها ويتبركون بها ويتّخذونها آلهة وأربابا تعبد من دون الله، ولكن ابتلي النّاس في هذا العصر باتّخاذهم لونا آخر من الآلهة يعبدونها وهي طاعة أشخاص تابعوهم بالتّحريم والتّحليل فيشرّعون لهم ما يوافق أهواءهم فيحلّون لهم الحرام ويحرّمون عليهم الحلال فمن تابعهم على ذلك فقد اتّخذهم أربابا من دون الله قال تعالى: (إن الحكم إلا لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه).

روى الإمام أحمد وغيره عن عديّ بن حاتم –كان نصرانيًا ثمّ أسلم– دخل عى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يقرأ قول الله عزّ وجلّ: (اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فقال: يا رسول الله ما عبدوهم –وكان يظنّ أنّ العبادة إنّما هي الرّكوع والسّجود– فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ألم يكونوا يحلّوا لهم الحرام ويحرّموا عليهم الحلال فيتّبعونهم؟ قال: نعم قال: فتلك عبادتهم إيّاهم...

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: هؤلاء الذين اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله إن علموا أنّهم بدّلوا دين الله فتابعوهم على التّبديل فهذا كفر فقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلّون ويسجدون لهم..

ويقول في موضع آخر: ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنّة رسوله واتّبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدًا كافرا يستحقّ العقوبة في الدّنيا والآخرة قال تعالى: (المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتّبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتّبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكّرون) ويقول تعالى: (ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله وإنّه لفسق وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنّكم لمشركون).

روى الطّبراني عن ابن عبّاس لمّا نزلت هذه الآية أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمّدا وقولوا له تذبح أنت بيدك بسكّين فهو حلال وما ذبح الله عزّ وجلّ فهو حرام..

أيّها القاضي بغير ما أنزل الله..

إذا عرفت هذا وظهر لك أنّ الكفر البواح والشّرك الصّراح إتّخاذ غير الله مشرّعا سواء كان هذا المشرّع عالما أو حاكما أو نائبا أو شيخ عشيرة وعلمتم أنّ الله قد حكم على الشّرك في كتابه فقال: (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ثمّ علمتم أنّ المادّة (26) من دستوركم الوضعي تنصّ على:

أ- السّلطة التّشريعيّة تناط بالملك وأعضاء مجلس الأمّة.

ب- تمارس السّلطة التّشريعيّة وغيرها صلاحيّاتها ومهامّها وفقا لمواد الدّستور.

عرفتم أنّ كلّ من قبل بمثل هذا الدّين المحدث والكفر البواح المناقض لدين الله تعالى وتوحيده أنّه قد اتّخذ هؤلاء المشرّعين أربابا من دون الله تعالى يشركهم مع الله في عبادته.. قال الشّيخ أحمد شاكر -رحمه الله تعالى- وكان قاضي المحاكم الشّرعيّة في بداية تحكيم مصر للقوانين الوضعيّة-: «هذه القوانين التي فرضها على المسلمين أعداء الإسلام هي في حقيقتها دين آخر جعلوه دينا للمسلمين بدلا من دينهم السّامي النّقيّ لأنّهم أوجبوا عليهم طاعتها وغرسوا في قلوبهم حبّها وتقديسها والعصبيّة لها... حتى لقد جرى على الألسنة والأقلام كثيرا كلمات «تقديس القانون» و «قدسيّة القانون» و «حرمة المحكمة» وأمثال ذلك من الكلمات التي يأبون أن توصف بها الشّريعة الإسلاميّة وآراء الفقهاء بل حينئذ يصفونها بـ «الرّجعيّة» و «الجمود» و «شريعة الغاب» إلى أمثال ما

ترى من المنكرات في الصّحف والمجلاّت والكتب المدرسيّة التي يكتبها أتباع أولئك الوثنيّين..

-ثمّ بيّن كيف تدرّج الأمر بالمسلمين فصاروا يطلقون على هذه القوانين ودراستها «الفقه» و«الفقيه» و«التّشريع» و«المشرّع» وما إلى ذلك من الكلمات التي تطلق على الشّريعة وعلمائها.. ثمّ بيّن كيف وصل الحال بهم إلى الدّرك الأسفل فنفوا شريعتهم الإسلاميّة عن كلّ شيء وصرّح كثير منهم في كثير من أحكامها القطعيّة الثّبوت والدّلالة لأنّها لا تناسب هذا العصر وأنّها شرعت لقوم بدائيّين غير متمدّنين فلا تصلح لهذا العصر الإفرنجي الوثني خصوصا في الحدود المنصوصة في الكتاب والعقوبات الثّابتة في السنّة إلى أن قال: ولقد ربّى لنا المستعمرون من هذا النّوع طبقات أرضعوهم لبان هذه القوانين حتى صار منهم فئات عالية الثّقافة واسعة المعرفة بهذا اللّون من الدّين الجديد الذين نسخوا به شريعتهم ونبغت فيهم نوابغ يفخرون بها على رجال القانون في أوروبا فصار المسلمون من أئمّة الكفر ما لم يبتل به الإسلام بأيّ زمان آخر.. وانتهى بقوله: وصار هذا الدّين الجديد والقواعد الأساسيّة التي يتحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد الإسلام فسواء منها ما وافق في بعض أحكامه شيئا من أحكام الشّريعة أو ما خالفها » اهـ.

وانظروا إلى مشرّعيكم أمثال محمّد فاضل والسّنهوري أين هم الآن إنّهم تحت أطباق الثّرى.. يا لله ويا للعجب مشرّعيكم يموتون!! ولكن ربّنا ومشرّعنا وحاكمنا حيّ لا يموت.

قال تعالى: (أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) قال ابن كثير: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كلّ خير النّاهي عن كلّ شرّ وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرّجال بلا مستند من شريعة الله، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتّى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير...".

أيّها القاضي بغير ما أنزل الله..

من أجل هذا عادانا أقوامنا ورمونا عن قوس واحدة، وظاهرونا بالعداء الصّريح وبذلوا الغالي والرّخيص من أجل القضاء على هذه الدّعوة العظيمة ولكن أنّى لهم والله جلّ ذكره يقول: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون) وقال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من

بعد خوفهم أمنا)..

فالقضيّة ليست قضيّة قنابل وسلاح ومتفجّرات وإنّما هي قضيّة دعوة توحيد ودين.. فلقد طوردنا منذ مدّة طويلة وكان السّبب لأنّ إخواننا بدأوا ينشرون هذه الدّعوة الكريمة «دعوة الأنبياء» بين النّاس وقاموا بعقد حلقات الدّروس في المساجد والبيوت من أجل إخراج النّاس من الشّرك إلى التّوحيد ومن ضيق الدّنيا إلى سعة الدّنيا والآخرة ومن الجور والظّلم إلى العدل والأمن ومن نار جهنّم إلى جنّات عدن، قال تعالى: (يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) و قد كنّا سمعنا وقرأنا عمّا يفعله زبانية المخابرات في ساحات التّعذيب وما اقترفوه بحقّ إخوان لنا سمّوا (بقضيّة مؤتة (1)) وما فعله زبانية المخابرات من تعذيب جسدي ونفسي ومحاولة إهانة وتدنيس لكرامة هؤلاء الفتية، ومن الحديث الصّحيح عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه جاء رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أن يأخذ مالي أفأعطيه؟ قال: لا لا تعطيه.. قال أفرأيت إن قاتلني أفأقتله؟ قال: نعم.. قال: أفرأيت إن قتلته؟ قال هو في النّار.. قال: أفرأيت إن قتلني؟ قال: أنت شهيد...

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: "والعدوّ الصّائل الذي يفسد الدّين ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه".. ونحن بفضل الله أصحاب دعوة عظيمة حملها قبلنا الأنبياء والصّالحون فلا بدّ لحامل هذه الدّعوة أن يكون صاحب أنفة وعزّة وكرامة، فوالله إنّ الموت أحبّ إلينا من أن يدنّس عرض أحدنا، والموت أحبّ إلينا من أن يداهم جنود الطّاغوت بيوتنا فيقودوننا من بين أهالينا وأطفالنا..

نحن أيّها القاضي لا نقول هذا حتى تعلمك بحالنا ولكن نقول هذا من باب قول الله عزّ وجلّ: (وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) فنحن نعلم بفضل الله ما هي تكاليف هذه الدّعوة العظيمة وما يتبعها من أذى بجميع أشكاله، قال تعالى: (لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك من عزم الأمور)..

فنبيّن لك ولا يخفى عليك مناداتكم بالدّيمقراطيهة ذلك الدّين الكفري المحدث فتقتلون النّاس باسم الدّيمقراطيّة وتبيحوا الخمر والزّنا والفساد باسم الدّيمقراطيّة وتزعق أبواقكم الإعلاميّة بشتّى وسائلها تزيّن صورة هذا الدّين المحدث وتصفه بالعدل والإتّزان

(1) قضيّة مؤتة :- هي مجموعة من الشّباب الإسلاميّ كانوا يدرسون في جامعة مؤتة العسكريّة اتّهموا بالتّخطيط لإقامة حكم الله في المرتدّ حسين ملك الأردن عند تخريج دفعتهم.

وحريّة الفرد وكرامة المواطن - وما قتل محمود العوالمة (1) إلاّ دليل على كرامة المواطن عندكم، فها أنتم تزجّون باسم الدّيمقراطيّة الكافرة النّاس في غياهب السّجون أسرابا إثر أسراب، تهمهم شتّى، ما أنزل الله بها من سلطان ومنها التّهمة المضحكة المسمّاة "إطالة اللّسان" فكلّ إنسان يقف في وجوهكم ليصدع بكلمة الحقّ تعاقبونه لأنّه أطال اللّسان على النّظام وطواغيته! فما هي إطالة اللّسان في شرعكم وقانونكم الوضعيّ؟؟..

يقول الله عزّ وجلّ في كتابه: (ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدوا بغير علم).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «فالسبّ المجرّد في ديننا إن كان يترتّب عليه مفسدة أعظم يُنهى عنه» ولكن هذه الدّعوة العظيمة التي فصّلناها لكم والتي تسمّونها أنتم في شرعكم إطالة اللّسان هي في شرعنا المطهّر حقّ وواجب كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "سيّد الشّهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله".

فقول الحقّ وتعرية الباطل مطلوب في شرعنا قال الصّحابيّ في الحديث الصّحيح: "بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على السّمع والطّاعة في منشطنا ومكرهنا وأن نقول الحقّ ولا نخشى في الله لومة لائم".

قال تعالى مادحا هؤلاء: (الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلاّ الله وكفى بالله حسيبا)، فعندما يقف الموحّد يتكلّم بما يعتقد من كتاب الله وسنّة نبيّه داعيا النّاس إلى توحيد الله محذّرا إيّاهم من الشّرك والمشركين ومن متابعتهم موضّحا ذلك بالدّليل النّقليّ من كتاب الله وسنّة نبيّه والعقليّ ممّا جبلت عليه فطرة المؤمن، فقول الله عزّ وجلّ: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فمن يقف ينكر أنّ من لم يحكم بما أنزل الله معطّلا لشرعه مستبدلا لحكمه غير كافر!!

فهل تبيين ما في كتاب الله أنّ الذي يحكم بغير ما أنزل الله يعتبر في شرعكم الوضعيّ إطالة لسان؟! ولقد صدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين قال: "يكون في آخر الزّمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدرك منكم ذلك الزّمن فلا يكون لهم جابيا ولا عريفا ولا شرطيّا" وهذا حديث صحيح إذا ما ذكرناه نصحا لكم قلتم (إطالة لسان)..

---

(1) الشّهيد محمود العوالمة - نحسبه كذلك ولا نزكّي على الله أحدا - هو فتى من فتيان الإسلام هاجمته قوّات المخابرات والجيش والشّرطة في الأردن في بيته وقتله مع أخيه، فرحمه الله تعالى ولعن الله أعداءه وقاتليه..

وهذا زمان انقلب فيه الحقّ باطلا والباطل حقًا فلقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقبله الأنبياء يعرّون أصنام القوم وآلهتهم المدّعاة ويسفّهون أحلامهم، قال تعالى ذاكرا عن إبراهيم: (قال أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون).

وفي الحديث عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عندما سأله صناديد قريش وطواغيتهم ألأنت الذي تسبّ آلهتنا وتسفّه أحلامنا؟ قال: "نعم".. مع أنّ دعوته لم يكن فيها شتم ولا سبّ ولا فحش..

فهذه سنّة أنبيائنا عليهم السّلام وعلى خطاهم نسير إن شاء الله تعالى، بينما الذي يسبّ خالق كلّ شيء يحاكم في شرعكم بأيّام قليلة أقلّ ممّن يسبّ حاكمكم! بالله عليك أيّها القاضي بغير ما أنزل الله من هو ربكم إذا؟!!

أنتم تقولون في شعاراتكم (الله، الوطن، الملك) فالله كتابةً مقدّم على الوطن والملك، ثمّ عقوبة من أطال لسانه على الملك أكبر من عقوبة إطالة اللّسان على الله عزّ وجلّ، فمن هو الإله حقًا في شرعكم؟!!

أيّها القضاة بغير ما أنزل الله..

قال تعالى: (إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما * واستغفر الله إنّ الله كان غفورا رحيما * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إنّ الله لا يحبّ من كان خوّانا أثيما يستخفون من النّاس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا * ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدّنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أمّن يكون عليهم وكيلا)..

ولا يكون الحقّ إلاّ في كتاب الله..

أذكّركم أيّها القضاة بقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم : "القضاة ثلاثة قاضيان في النّار وقاض في الجنّة، أمّا القاضيان اللّذان في النّار فقاض علم الحقّ وحكم بغيره فذلك في النّار، وقاض جهل لم يعرف الحقّ وحكم بغيره فذلك أيضا في النّار، وقاض عرف الحقّ وحكم به فذلك في الجنّة".. والحقّ ما وافق الشّرع وحده، فوالله إنّنا على هدايتكم لحريصون وإنّها والله أيّام قلائل وتنقضي هذه الحياة الدّنيا فربح فيها من ربح وخسر فيها من خسر فإنّكم ما تقضون على أحد من قضاء إلا رسيقضى عليكم يوم القيامة قضاء أدهى وأمرّ عندما تقبلون على الله فرادى، قال تعالى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين

زعمتم أنّهم فيكم شركاء لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون)..

عندها والله لن تجدوا لكم من دون الله وليّا ولا نصيرا، فهذه النّياشين والرّتب والبزّات العسكريّة النّاعمة لن تنفعكم عند الله، ففي الحديث الصّحيح عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "يحشر النّاس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله النّساء والرّجال ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة الأمر أشدّ من أن يهمّهم ذلك."..

وما القاضيان الذين عن شمالك ويمينك معتمدا عليهما في قضائك وهما لك كالجناحين للطّائر لن يغنوا عنك من الله شيئا وستأتي يوم القيامة بدونهما، قال تعالى: (وكلّهم آتيه يوم القيامة فردا) فنحن بفضل الله لن يهمّنا ما دبّرتموه في الخفاء مكرا بنا فالأمر أمر الله والقضاء قضاء الله قال تعالى: (والله يقضي بالحقّ والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء).. فقضاؤكم إنّما يكون في هذه الأرض، قال الله عزّ وجلّ مخبرا عن سحرة فرعون لمّا آمنوا فقال: (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنّما تقضي هذه الحياة الدّنيا)..

وما سجونكم بالتي تثنينا عن عزمنا بمواصلة دعوتنا إلى الله وحده، فأنتم والله السّجناء كما قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «المحبوس من حُبس قلبه عن ربّه تعالى والمأسور من أسره هواه..»، وقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : "الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر".. وفي الحديث الحسن عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : "يحشر المتكبّرون يوم القيامة أمثال الذّرّ في صورة النّاس يعلوهم كلّ شيء من الصّغار حتّى يدخلوا سجنا في جهنّم يقال له بولس تعلوه نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النّار"..

فهذا هو السّجن الأبديّ السّرمديّ لا كسجنكم هذا فبفضل الله وكرمه وسّع الله علينا سجونكم بذكر الله فأمست مدارس للدّعوة وتعليم كتاب الله..

قال تعالى: (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيّء لكم من أمركم مرفقا)..

فأنتم تعقدون في محاكمتكم هذه المسرحيّات لمحاكمتنا بقانونكم الوضعيّ ولكن اعلموا أيّها القضاة بأنكم إن متّم على ما أنتم عليه.. عندها سنلتقي هناك في محكمة العدل عند مليك مقتدر وستجدون هذا كلّه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه.

اللّهمّ هل بلّغت اللّهمّ فاشهد..

إفادة الأسير / أحمد فضيل نزال الخلايلة / سجن سواقه

الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي

- البدايات -

بقلم الأستاذ : محمّد طه الطّرابلسيّ

(وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله) [الأنفال:39].
(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة:44].
(يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنّصارى أولياء، بعضهم أولياءُ بعض، ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم، إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين) [المائدة:51].

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله..

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنّ أمّتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنّي سألت ربّي أن لا يهلكها بسنة عامّة وأن لا يسلّط عليهم عدوّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنّ ربّي قال: يا محمّد إنّي إذا قضيت قضاء فإنّه لا يُردّ وإنّي أعطيتك لأمّتك أن لا أهلكهم بسنة عامّة وأن لا أسلّط عليهم عدوّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتّى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا" [رواه مسلم وأحمد والنّسائي].

أمّا بعد،

فإنّ الجهاد في سبيل الله بالرّغم من أهمّيّته القصوى وخطورته فقد ابتعد عنه المسلمون وتجاهله علماؤهم بالرّغم من علمهم بأنّه السّبيل الوحيد لعودة ورفع صرح الإسلام من جديد، والذي لا شكّ فيه أنّ عروش طواغيت حكّام المسلمين لن تزول إلاّ بقوّة السّيف ولذلك يقول نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم : "بعثت بالسّيف بين يدي السّاعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجعل الذّلّ والصّغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم" [أخرجه أحمد عن أبي عمر والطّبرانيّ في الكبير وأبو يعلى في مسنده].

لقد تمكّن عدوّنا الصّليبيّ بعد صراع تاريخيّ طويل ضدّ الإسلام من تطوير «نظام الاستعباد والتّحكّم عن بعد» في منتصف القرن العشرين وبالتّالي القدرة على الفاعليّة التّخريبيّة في بنيتنا الدّاخليّة على كافّة المستويات وذلك بتكوينه دولا محلّيّة ذات صفة علمانيّة معادية للإسلام مرتبطة معه باتّفاقيّات سرّيّة عسكريّة واقتصاديّة وثقافيّة يحقّق من خلالها إرادته العدوانيّة الدّينيّة ومصالحه الاقتصاديّة.

وتتبنّى هذه الدّول المحليّة الحضارة النّصرانيّة بقشورها وعيوبها، وتتخلّى عن إيجابيّاتها المحصورة في تطوّر الخدمات الاجتماعيّة الانسانيّة والعلوم والاقتصاد من صناعة وزراعة وتجارة...الخ. واضعة كلّ ثقلها كدول في محاربة الإسلام في عقر داره نيابة عن دول الصّليب ومرتكزة على قوّة مؤسّساتها العسكريّة وشبكاتها الاستخباريّة وعلى تمزيق وحدة المجتمعات الإسلاميّة باستخدامها التّناقضات الاجتماعيّة من قبليّة وعرقيّة وقوميّة واقتصاديّة.. كلّ ذلك من أجل ضمان المصلحة المتبادلة ما بين الفئة المسيطرة والحاكمة في القمّة لتلك الدّول العميلة ومراكز القرار السّياسيّ الدّينيّ والاقتصاديّ في دول الصّليبيّة الكبرى، حيث يتمّ نهب الثّروات المعدنيّة الضّخمة للشّعوب الإسلاميّة، البترول والغاز الطّبيعيّ وباقي المعادن والثّروات البحريّة وإفقار الشّعوب الإسلاميّة وتمرير المؤامرات ضدّ الإسلام، ذلك الدّرع الوحيد الذي تصدّى ووقف في وجه الأهداف الدّينيّة والاقتصاديّة لدول الصّليب عبر التّاريخ.

لقد آن الأوان وخاصّة بعد مرور عشرات السّنين على فساد هذه الأنظمة أن تستيقظ الشّعوب الإسلاميّة المستعبدة من نومها العميق الذي طال، وأن تعي خطر العدوّ الدّاخليّ الذي يدّعي الإسلام بينما في واقع الأمر ينفّذ إرادة الصّليب الحاقدة وخبث وخساسة اليهود.

مدخل

إنّ الحالة الذّليلة التي تعيشها الشّعوب الإسلاميّة من فقر وتخلّف وظلم، وانهيار الدّين والأخلاق الإسلاميّة، وتفكّك أواصر العلاقات الاجتماعيّة، وانتشار الرّبا وإحلال القيم الغربيّة النّصرانيّة، وتسلّط أجهزة المخابرات والشّرطة والجيش وجماعات المخبرين على كرامة وشرف وأمن المسلمين، وإعدام المئات بتهمة الجهاد في سبيل الله، وزجّ الآلاف في السّجون حيث تمارس عليهم طرق تعذيب شيطانيّة، وكذلك أفراد عائلاتهم من رجال ونساء.. وتفشّي ظاهرة البطالة ووصولها إلى مستويات خطيرة في دول مثل المغرب وباكستان والجزائر...الخ من دول العالم الإسلاميّ، حيث بلغت أكثر من 70٪ بسبب النّهب الذي تقوم به الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلاميّ والدّول النّصرانيّة وشركاتها للثّروات الطّبيعيّة الهائلة التي يمكن أن تؤمّن –لولا السّرقة المنظّمة– مستوى من المعيشة والحياة الكريمة بعيدا عن الفقر والحاجة التي دفعت آلاف العائلات المسلمة للهجرة إلى أوروبا لخدمة النّصارى حيث غالبا تُرمى لهم الأعمال التي يأبى الأوروبيّون النّصارى القيام بها، ويمارس عليهم الاحتقار والحقد الدّينيّ الصّليبيّ الذي يسمّونه في الإعلام الحديث: العنصريّة.. كما أنّ انتشار العهر والقوادة التي يروّج لها قوّادو الحكومات العلمانيّة وبشكل خاص (وزراء السّياحة) تحت شعار (الإستثمارات السّياحيّة وزيادة الدّخل القوميّ من العملات الأجنبيّة) وذلك بإنشاء الفنادق الفخمة ومنشآت الإستحمام والسّباحة، ودعوة الأوروبيّين لنقل أمراضهم الجنسيّة الخبيثة وقذاراتهم الأخلاقيّة ونشر الفساد والخمر والمخدّرات، وزيادة ظاهرة المومسات كمؤسّسة تجاريّة يدخل في حمايتها واستثمارها كبار المتسلّطين في جهاز الدّولة حيث الحاجة والفقر المدقع الذي أوجدته هذه الأنظمة العميلة يُعرّض بعض النّساء إلى الوقوع في شباك هذه المؤسّسات القذرة، وعلى ذكر هذا تمّ في سنة 1993م القبض على أحد ضبّاط الشّرطة المغاربة وقد اغتصب أكثر من مائة إمرأة مسلمة بعد أن صوّر أفعاله البهيميّة على أشرطة الفيديو.. كما أنّ شوارع وحانات الفساد في العواصم الأوروبيّة لا تخلو من بعض هؤلاء النّساء اللاتي كنّ ضحيّة نظام أمير القوّادين القبيح الحسن الثّاني لعنه الله بعد أن سحق الرّجال بالفقر والبطالة. هؤلاء الرّجال هم أحفاد فرسان كانوا أسيادا لأوروبا يوم أن كان الإسلام يعمر قلوبهم بالجهاد والعزّة، والآن ينتقم الغرب الصّليبيّ الحاقد بواسطة سليل الخيانة والعهر الحسن الثّاني من هذا الشّعب المسلم.

إنّ سياسة الدّعارة والإنحطاط الخلقيّ هو صفة لازمة من صفات الأنظمة الحاكمة

اليوم في العالم الإسلاميّ، وهي نهج مخطّط له وليس مصادفة، ويندرج ضمن خطّة الحرب الشّاملة التي يخوضها الأعداء الدّينيّون اليهود والنّصارى وعملاؤهم من الأنظمة العلمانيّة الحاكمة.

إنّ كلّ ما يجري في العالم الإسلاميّ لوصمة عار على جبين أمّة الإسلام لن تمّحي إلاّ بالعودة للجهاد.. هذا القانون الربّانيّ الأبديّ الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به وحذّرنا من عواقب هجره. وبعد سرد بعض من هذا الوضع المأسويّ الذي يستدعي منّا نظرة تحليليّة لطبيعة هذه الأنظمة، وطبيعة علاقاتها بأعداء الرسالم من الغرب الصّليبيّ وحلفائه اليهود بهدف وضع المجاهدين في موقع الرّاصد الواعي لماهيّة هذا العدوّ الدّاخليّ الخطير وكشف خيوط المؤامرة والتّعامل مع الواقع الحاليّ بفاعليّة وعلى مستوى جديّة التّحدّي وتطوّر الصّراع بين الإسلام والتّحالف الصّليبيّ اليهوديّ الذي أخذ أشكالا أكثر تعقيدا بعد مرحلة ما يسمّى بدول الإستقلال الوطنيّ المزعوم عن الدّول الأوروبيّة.

لمحة تاريخيّة سريعة عن جذور الصّراع الصّليبيّ ضدّ الإسلام

منذ الفتوحات الإسلاميّة الأولى في القرن السّابع الميلادي التي أنهت الوجود النّصرانيّ على شواطئ البحر المتوسّط الجنوبيّة المتمثّل يومها بالإمراطوريّة البيزنطيّة، تمكّن الإسلام، دين الفطرة البشريّة، من الاستقرار في قلوب السكّان المحلّيّين وبالتّالي نبذهم للدّين النّصرانيّ المحرّف والمستمدّ أصلا من التّصوّرات الوثنيّة الإغريقيّة والرّومانيّة والتّصوّرات الكنسيّة بعد أن حرّفه بولس (شاؤول اليهوديّ)، وبدأت حلقات الصّراع بين الإسلام والنّصرانيّة في شرق البحر المتوسّط (الدّولة البيزنطيّة في صراعها مع الدّول الإسلاميّة المتعاقبة الأمويّة، العبّاسيّة، السلوجقيّة...الخ). وبعد خمسمائة عام من الفتح الإسلاميّ لبيت المقدس جاء دور النّصرانيّة الغربيّة المتّحدة مع الدّولة البيزنطيّة، وذلك عندما دعا البابا (أوريان الثّاني) – ممثّل الرّبّ يسوع في الأرض!!!– عام 1095م لتجريد حملة دينيّة صليبيّة لتحرير بيت المقدس وقبر المسيح المزعوم من أيدي الكفرة المسلمين!! وتجمّع أعداء الله من كلّ أنحاء أوروبا وخصوصا من فرنسا بقيادة (بطرس النّاسك)، فكانت حملته بداية لحملات متعدّدة تتالت على العالم الإسلاميّ، حتّى تمكّنت من إقامة عدّة إمارات منها: أرمينيا، الرّها، أنطاكيا، طرابلس، بيت المقدس. وعلى الرّغم من هذه الإنتصارات المحدودة والوقتيّة خلال فترة هذه الحروب التي شاركت فيها كلّ قوى أوروبا والتي استمرّت قرابة قرنين من الزّمن، كان النّصر

حليفا للمسلمين الموحّدين الذين أتوا من آسيا (الأكراد والأتراك) موحّدين قوامهم مع مسلمي بلاد الشّام، وتمّ نحر جنود الصّليب بفضل الجهاد الإسلاميّ المبارك.

لقد اكتشف الصّليبيّون بعد هذه الحروب أنّه لم يعد من السّهل إعادة هذه المناطق إلى الدّين النّصرانيّ وثقافته وطريقة حياته وذلك بسبب ثبات وعمق وجود الدّين الإسلاميّ في نفوس وحياة المسلمين، هذا الدّين الذي أصبح يشكّل قوّة جديدة ودائمة في وجه النّصرانيّة الصّليبيّة. من هنا بدأ الصّليبيّون بإعداد الخطط لمواجهة هذه الحقائق المكتشفة، فظهرت آراء الرّاهب الإسبانيّ (رامون رول) في القرن الرّابع عشر الميلادي التي تنادي بوجوب استبدال الحملات العسكريّة الصّليبيّة ببعثات تبشيريّة مهمّتها تحويل المسلمين عن دينهم تحويلا بطيئا وغير مباشر لعزلهم عن مصدر قوّتهم، فإذا تحوّلوا عن دينهم خطوة أمكن أن يبتعدوا عنه خطوة أخرى وهكذا حتّى يتحوّلوا عن إسلامهم ويكونون هم أنفسهم أعداء لدينهم.

وانطلق الغزو الفكري التّنصيريّ باتّجاه العالم الإسلاميّ وتسلّل تحت شعار تحقيق الغايات الإنسانيّة (التّطبيب، التّعليم، المساعدات الغذائيّة...الخ). ومهمّته دائما تمهيد الطّريق أمام جحافل الغزو العسكريّ الصّليبيّ القادم. ولا تزال الدّول الصّليبيّة الحديثة تستخدم هذا الأسلوب الماكر بعد تطويره وإضافة المراكز الثّقافيّة والدّينيّة والكنائس ومراكز تعليم المهن والمدارس والجامعات ذات السّمعة الرّاقية، وذلك في مناطق متعدّدة من العالم الإسلامي و بشكل خاص في أندونيسياوشمال إفريقيّة وجنوبها وبلاد الشّام وتركيا وباكستان ...الخ لتشكيل طوائف نصرانيّة عميلة وخلخلة بنيان المجتمعات الإسلاميّة على المدى البعيد.

بينما تبيد اليوم الشّعوب والدول النّصرانيّة بقايا المسلمين في البوسنة والهرسك وكسوفو وألبانيا وكل شبه جزيرة البلقان بشتّى الوسائل تشن حملات الإضطهاد ضدّ الجاليات الإسلاميّة المهاجرة.

أمّا في القرن التّاسع عشر وبعد إضعاف دولة الخلافة الإسلاميّة العثمانيّة الّتي دافعت عن أرض الإسلام لأكثر من قرنين من الزّمن تمكّنت دول التحالف الصّليبي بواسطة الحروب المستمرّة ومؤامرات اليهود الدّاخليّة وخيانة النّصارى الأقباط في مصر ونصارى بلاد الشّام، وكذالك زعماء القبائل والعشائر في الجزيرة العربيّة مثل عبد العزيز بن سعود والشريف حسين وإعلان ما يسمّى الثّورة العربيّةالكبرى التي هيّأها الإنجليز لفصل مسلمي تركيا عن مسلمي العرب وأيضا خيانة الطّوائف الكافرة الشّيعيّة من درزيّة وجعفريّة ونصيريّة لدولة الإسلام، تمكّن الأعداء الصّليبيّن من احتلال أجزاء واسعة من

العالم الإسلاميّ:

– احتلال فرنسا للجزائر وتونس وسوريا وفَصْل لبنان عنها وتكوين أوّل دولة نصرانيّة كاثوليكيّة في بلاد الشّام..

– احتلال إنجلترا لمصر والسّودان وفلسطين وجزيرة قبرص وكريت والهند والقضاء على الدّولة الإسلاميّة المغوليّة فيها..

– احتلال روسيا لكازاخستان والشّيشان وتركمانستان وأذربيجان...الخ.

– احتلال النّمسا للبوسنة والهرسك حيث تعرّض المسلمون هناك لمذابح جماعيّة ضخمة لإبادتهم.. وتعرّض بقيّتهم لسياسة الإفقار والإستعباد والتّصفية الجسديّة.

وعلى الرّغم من فقرهم أنذاك في العدّة والعتاد بقيت لديهم روحا جهاديّة وقفت بالمرصاد لأعداء الإسلام واستشهد عشرات الآلاف بأسلحتهم الخفيفة وهم يجابهون جحافل الصّليبيّين المدرّعة والمدجّجة بالأسلحة الآليّة الثّقيلة.

وقد فوجئ الصّليبيّون بهذه الرّوح الجهاديّة الّتي لم تخبو بالرّغم من كلّ الأساليب التي اتّبعوها وكان ردّ فعل الصّليبيّين بالدّعوة إلى العلمانيّة والقوميّة ونشر فكر وتجربة الغرب وتطبيقها على كلّ نواحي الحياة، وعزل الدّين الإسلاميّ عن الدّولة، وتمّ التّحالف الدّينيّ بين اليهود والنّصارى القائم على أسس كتاب العهد القديم (التّوراة) الذي يشكّل الأرضيّة الدّينيّة المشتركة بينهما وكذلك الرّغبة في تحقيق النّبوءات التي تؤكّد بعث دولة إسرائيل وهدم المسجد الأقصى لإعادة بناء الهيكل الثّالث، وذلك تمهيدا لعودة (الرّبّ يسوع) لسحق الكفّار (المسلمين) وتطهير الأرض. ولعب يهود الدّونما – وهم اليهود الذين هاجروا من الأندلس في القرن الخامس عشر الميلادي واستقرّوا في مدينة (سالونيك) اليونانيّة حاليا ومدينة (استنبول) وادّعوا الإسلام وتسمّوا بإسماء إسلاميّة ودخلوا المراكز الحسّاسة في الدّولة العثمانيّة ولعبوا دورا مهمّا في إنهاء دولة الخلافة الإسلاميّة بعد أن كوّنوا الحزب الخبيث (حزب الإتّحاد والتّرقّي) العلمانيّ، ومن خلاله نفّذوا نشاطاتهم التّخريبيّة فأدخلوا النّظام البرلمانيّ وخاضوا الحروب الفاشلة وتآمروا على تسليم الأرض الإسلاميّة للصّليبيّين، كما حدث في ليبيا بعد تفريغها من الحماية العثمانيّة قبيل قدوم الإيطاليّين.. وعن طريق انقلاب عسكريّ عام 1908م تمّ عزل السّلطان عبدالحميد –رحمه الله– الذي توفّي سنة 1918م، وكان آخر خليفة مسلم قاوم حتّى النّهاية الحلف الصّليبيّ اليهوديّ على كافّة المستويات وخاصّة تحقيق هدفهم الدّينيّ لسلب فلسطين. وفي عام 1924م، في عهد الضّابط اليهوديّ (مصطفى كمال أتاتورك) تمّ القضاد علنا على نظام الخلافة الإسلاميّ وأعلن النّظام العلمانيّ الجمهوريّ واضطهد

الأتراك في عقر دارهم لأوّل مرّة ومنع الأذان والحجاب واستبدل الحروف العربيّة بالحروف اللاّتينيّة وفصل الدّين عن الدّولة.. ونشر هذا الحزب الفكر القوميّ التّركيّ الطّورانيّ وأرسل ضبّاطه اليهود أمثال جمال باشا إلى بلاد الشّام لاضطهاد المسلمين وتتريكهم وتطبيق سياسة التّحريض والفتنة للإيقاع بينهم وبين الأتراك.. وفي نفس الوقت نشر حلفاؤهم -نصارى الشّام- الفكر القوميّ العربيّ وكوّنوا الأحزاب القوميّة المعادية للمسلمين تمهيدا لفصل بلاد الشّام والجزيرة العربيّة عن دولة الخلافة الإسلاميّة العثمانيّة والإستيلاء على فلسطين هدف اليهود والنّصارى الدّينيّ (بيت المقدس)..

كما تمّ اضطهاد المسلمين الأكراد لأوّل مرّة في تاريخ الحقبة الإسلاميّة من قبل القوميّات الوليدة في المنطقة على إثر سقوط دولة الخلافة الإسلاميّة العثمانيّة، وخاصّة من قبل القوميّات في تركيا والدّولة الإيرانيّة التي أجبرتهم على التّشيّع وبذلك تمّ نشر روح العداء في نفوس الأكراد المسلمين الذين كانوا فرسان الجهاد والمعارك البطوليّة ضدّ أوروبا الصّليبيّة والشّيعة الفرس لما يتمتّعون به من روح قتاليّة وشجاعة.. وقد تمّ نشر الفكر القوميّ العلمانيّ الكرديّ وكذلك الفكر الشّيوعيّ الماركسيّ عن طريق نشاط اليهود الرّوس لتضليل المسلمين الأكراد عن رسالتهم الإسلاميّة وإهدار طاقاتهم بالصّراع مع الأنظمة العميلة في المنطقة مثل تركيا والعراق وإيران بدل العودة إلى الإسلام واستقطاب المجاهدين المسلمين من كلّ بقاع الأرض إلى جبالهم الوعرة المثاليّة لحرب العصابات، وتكوين دولة إسلاميّة بعيدة عن تفاهات الطّرح البشريّ المستورد من أعداء الإسلام، وبالتّالي حلّ مشكلتهم التي أحدثتها المؤامرات الصّليبيّة اليهوديّة الكبرى على العالم الإسلاميّ.

وهكذا أصبح المسلمون ولأوّل مرّة في تاريخهم بلا خليفة يقودهم ويوحّد كلمتهم في وجه العالم الصّليبيّ المتّحد تحت شعار الصّليب، حيث فقد المسلمون مؤسّسة الدّولة الإسلاميّة التي كانت تستمدّ جذورها من قوانين الشّريعة الإسلاميّة وتعبّر عن مصالح الشّعوب المسلمة وتحميها من أعدائها المتربّصين في الدّاخل والخارج، وبذلك دخلت الشّعوب الإسلاميّة مرحلة الضّياع والتّخبّط كجسد بلا رأس، وتمّ تمزيقها بين القوى الصّليبيّة التي رسمت الحدود الحاليّة وأنشأت قواعد الدّول المحليّة العميلة لخداع الشّعوب المسلمة وذلك تمهيدا لتسليمها السّلطة للإشراف على مصالحها وتحقيق إرادتها السّياسيّة والدّينيّة العدوانيّة تجاه الإسلام والمسلمين.

(يتبع)



إعادة النّظر
في كتابة التّاريخ الإسلاميّ

بقلم: حسام يوسف المصري

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله..

وبعد

كنّا نودّ أن يكتب التّاريخ الإسلاميّ بنفس دقّة المنهج الذي دُوِّنت به كتب الأحاديث.. ولكن تدوين التّاريخ لم يحظ بهذه العناية.. وقد يرجع ذلك إلى عدّة عوامل منها: أنّ الكثير من كتب التّاريخ خضعت لهوى الحكّام، إمّا رغبة في نوال ماعندهم، أو رهبة من سطوة الدّولة، أو لميل المؤرّخ لتوجّهات الدّولة.. حتّى إنّ الكثيرمن الوثائق والمكاتبات الهامّة قد تمّ طمسها أو إخفاؤها بسبب تدخّل بعض الحكّام.. وقد تنبّه الإمام الحافظ الذّهبي لهذه الحقيقة التّارخيّة، حيث يقول في ترجمته لعبدالصمد بن علي بن عبد الله بن عباس الأمير وأنّه ليس بحجّة : (ولعلّ الحفّاظ ربّما سكتوا عليه مُداراة للدّولة)(1).. وهي كلمة تعضد وجهة النّظر هذه، كما أنّنا نرى أنّ ابن الأثير صاحب ‹الكامل في التاريخ› كان متحيّزا للأسرة الزّنكيّة الذّاهبة على حساب صلاح الدّين الأيّوبي.. وممّن تأثّر بهذا الدكتور حسين مؤنس في كتابيه (نور الدّين زنكي) و(صور من البطولات العربيّة والأجنبيّة).. أو لأنّ التّاريخ كان يدوّن في فترة حكمهم.. ممّا جعل بعض علماء التّاريخ يغضّ الطّرف عن أحداث هامة للدّولة المنصرمة بُغية تحسين فترة حكم هذه الدّولة.. وتشويه خصومها الذّين قاموا على أنقاضهم.. لكن حملة التّشويه بدأت فجّة قويّة في دولة بني بُويه.. هذه الدّولة الشّيعيّة الخبيثة التّي أفسدت التّاريخ الإسلاميّ، إلى وقتنا الحاضر. وقد استمرّت حملة التّشويه إلى أن كانت اليد الطّولى للمستشرقين منذ قرنين في تشويه وتقبيح التّاريخ

بل وتعمّدهم إبراز الحركات الهدّامة كالزّنج والقرامطة.. ودولة بني بُويه..إلخ

ولمّا كنّا نمسّ هذه القضية مسّاً خفيفا فإنّنا سنوضّح الصّورة في النّقاط الموجزة التّالية:

أولاً: الدّولة الأمويّة الأولى والثّانية:

لقد تعرّضت الدّولة الأمويّة لحملة تشويه من بعض الإسلاميّين قبل المستشرقين.. ولم تنصف هذه الدّولة، رغم أنّها الدّولة الانموذج في وحدة الأمّة في تاريخ المسلمين بعد عصر الخلافة الرّاشدة، وهي حالة لم تتكرّر في حقبة من حقب التّاريخ بعد ذلك.. بل العكس تماماً.. إذ انحسر نور الخلافة شيئاً فشيئاً.. حتّى دبّ التّمزّق والتّشرذم في صفوف المسلمين فصاروا دويلات متناحرة.. وسبب عدم الإنصاف أن كتابة التّاريخ بدأت في عصر الخصوم فقد ظهر أوّل كتاب في تاريخ المسلمين لأبي حنيفة أحمد بن داود الدّينوري (ت 282 هـ) «الأخبار الطوال» ويعتبر هذا الكتاب أقدم المصادر التّاريخيّة وهوكتاب موجز في تاريخ الإسلام حتّى أوائل الخلافة العبّاسية، لذلك هو أقرب المراجع التّي تكلّمت عن الخلافة الأمويّة، ورغم أهميّته فإنّه قد خلا من الوثائق والرّسائل التّي كانت ترسل من وإلى القوّاد وملوك الفرنجة وغيرهم.. ثم كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت 279 هـ).. ثمّ ألّف أبو جعفر محمّد بن جريرالطّبري (ت 310 هـ) كتابه «تاريخ الأمم والملوك» الذي يعتبر أغزر المصادر التّاريخيّة مادّة ويبدأ كتابه من الهجرة النّبويّة وينتهي عند حوادث سنة 302 هـ. فنلاحظ أنّ أهمّ وأقدم الكتب التّاريخيّة بل وحركة تأليف كتب السّيرة والتّاريخ قد دوّنت كلّها في أواخرالدّولة الأمويّة وعهد العبّاسيّين على مدار خمسة قرون. ومن ثم لاتوجد مصادر مستقلّة كتبت في هذه الحقبة عن تاريخ الدولة الأمويّة، وعالجتها بإنصاف، اللهمّ إلا كتاب أنساب الأشراف للبلاذري.. (والحق –إن العصر الأموي عصر مظلوم – على أهميّته – تحامل عليه المؤرّخون القدامى، ولم يدرسه المؤرّخون المعاصرون دراسة موضوعيّة تبرز أهميّته في الحضارة الإسلاميّة. فتَعَصّبُ العبّاسيين ضدهم (..) وكذلك ارتكب الأمويّون، ولاسيما المتأخرّين منهم أخطاء شنيعة أدّت، لا إلى ذهاب دولتهم فحسب، بل إلى تشويه سمعتهم وتصويرهم بغير صورتهم الحقيقيّة)(2).

ثانياً: الدولةالزبيرية(63 هـ إلى 73 هـ) :

للأسف الشّديد أغفل المؤرّخون القدامى حقبة تاريخيّة هامّة وهي فترة حكم الدّولة الزّبيريّة، فتدوين الخلافة الزّبيريّة يذكر ضمن الدّولة الأمويّة مع الحركات الخارجة عن الدّولة مثل الخوارج!! رغم أن عبد الله بن الزّبير رضي الله عنه كان الخليفة الشّرعيّ المعترف به في مصر والحجاز واليمن والعراقين وخراسان وأجزاء من الشّام، وقد بُويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، يقول الحافظ السّيوطي مؤيّداً لرأي الحافظ الذّهبي:(ولم يبق خارجاً عنه إلا الشّام ومصر فإنّه بُويع بهما معاوية بن يزيد، فلم تطل مدّته، فلّما مات أطاع أهلهما ابن الزّبير وبايعوه، ثمّ خرج مروان بن الحكم فغلب على الشّام ثمّ مصر، واستمرّ إلى أن مات سنة خمس وستّين، وقد عهد إلى ابنه عبد الملك، والأصحّ ماقاله الذّهبي أنّ مروان لايُعَدّ في أمراء المؤمنين، بل هو خارج على ابن الزّبير، ولا عهده إلى ابنه بصحيح، وإنّما صحّت خلافة عبد الملك من حين قُتِلَ ابن الزّبير، وأمّا ابن الزّبير فإنّه استمرّ بمكّة خليفة إلى أن تغلّب عبدالملك فجهّز لقتاله الحجّاج(..) وخذَلَ ابنَ الزّبير أصحابُه، وتسلّلوا إلى الحجّاج، فظفر به وقتله وصلبه، وذلك (..) سنة ثلاث وسبعين)(3).

ورغم هذا الجلاء لشرعيّة خلافة ابن الزّبير رضي الله عنه إلاّ أنّ كتب التّاريخ قسّمت التّاريخ الإسلاميّ إلى:الخلافة الأمويّة من 41 هـ إلى 132هـ، والخلافة العبّاسيّة 132هـ إلى 656 هـ.

وهكذا أغفل الدّارسون للتّاريخ الدّولة الزّبيريّة فلا تجدها إلاّ ضمن الفرق التّي خرجت على الأمويّين رغم أن الحقيقة التّارخيّة تجافي ذلك.. وبناء على ماسبق كان الأولى أن يكون التّقسيم كالتّالي: الخلافة الأمويّة الأولى من 41 هـ إلى 63 هـ ثمّ الخلافة الزّبيريّة من 63 هـ إلى 73 هـ ثمّ الخلافة الأمويّة الثّانية 73 هـ إلى 132هـ ثمّ الخلافة العبّاسيّة 132هـ إلى 656 هـ.

هكذا نكون قد أنصفنا هذه الخلافة المنسيّة بين سطور التّاريخ.. إذ كان لزاماً علينا أن نعيد لهذه الخلافة الزّبيريّة إعتبارها وتكون في الصّدارة التّاريخيّة بدلا من هذا النّسيان.

دولة بني بُويه: (320 هـ إلى 447 هـ):

هذه الدّولة الخبيثة تحتاج إلى إعادة تقييم، لما جرّته من ويلات على تاريخ المسلمين، وقد تولّت هذه الدّولة كبر حملة تشويه الصّدر الأوّل من الإسلام.. فلأوّل مرّة تظهر الكتابات الشّعوبيّة التّي تطعن على جنس العرب، بل وتُشكّك في الإسلام، وتُعظّم الفرس.. أمّا عن نشأة هذه الدّولة المنحرفة وظهور نجمها يقول د.حسن إبراهيم: (وظهر بنو بُويه في عالم التّاريخ الإسلاميّ في أوائل القرن الرّابع الهجريّ من خلال ذلك الغموض الذي اكتنف تاريخهم قبل ذلك (..) وإن نسب هذه الأسرة مسألة يحوطها الشكّ، شأن الملوك والأمراء الذّين تظهر عظمتهم مرة واحدة)(4).. لذلك لا غرو أن نجد تاريخ الإسلام مشوّهاً إلى بداية عهد بني بُويه 320 هـ.. وسبب ذلك أنّ هذه الدّولة البُويهيّة كانت مكروهة لدى عامة المسلمين وخاصتّهم.. وكان النّاس يحتجّون عليهم بسيرة السّلف الصّالح، وضاق بنو بُويه ذرعاً من هذا الإحتجاج.. فظهر شعراء وكتّاب شعوبيّون حاقدون على جنس العرب، بل وعلى أهل الإسلام وذلك بإيعاز من السّلطة الحاكمة لأنّ الخليفة العبّاسيّ لم يكن له إلاّ الإسم فقط، وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه حالة الضّنك والخراب الذي عمّ المسلمين في عهد بني بُويه.. فليراجع(تاريخ بن خلدون الجزء الرّابع).. (إنّ آل بُويه قد اشتروا ضمائر أهل الطّمع، والإنتفاع الشّخصيّ، من ضعفاء النّفوس ، فراحوا يكيلون لهم المديح جزافاً حتى جاوزوا المقدار. هذا أبوهلال الصّابي، يضع كتاب ‹التّاجي›، وهو سجين، وقد مرّ به بعض أصحابه، فسأله، فقال: «أباطيل أُنمّقها، وأكاذيب أُلفّقها في تاريخ آل بُويه)(5) حتى علماء النّحو تقرّبوا إليهم مثل أبو عليّ الفارسيّ عالم اللّغة والنّحو (ففي سنة 341 هـ جاء إلى حلب، إلى بلاط سيف الدّولة. ثمّ إن عضد الدّولة استدعاه إلى شيراز ليؤدّب أبناء أخيه خُسْرَوَهْ (كسرى) فنال حظوة عند عضد الدّولة وألّف له الإيضاح والتّكملة.)(6).

وهذا أبو الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ) يؤلّف كتابه الضّخم ‹الأغاني› للوزير أبي الحسن محمّد بن الحسن المهلّبي.. ورغم أنّه كتاب أدب وشعر وليس كتاب تاريخ بالمعنى الإصطلاحيّ.. إلاّ أنّ هذا الكتاب كان تكأة المستشرقين والعلمانيّين وضعاف النّفوس في النّيل من تاريخ الإسلام وأهله.. وصار عمدة في تقييم التّاريخ الإسلاميّ.. وجلّ حجّتهم

البالغة هذه القصص والحكايات التي ذكرها الأصفهاني عن المغنّيين وأهل الطّرب والمجون، حيث صار تاريخ السّلف الصّالح إلى سنة 289 هـ عبارة عن مجموعة من المتآمرين سفّاكي الدّماء .. ومجموعة من الحمقى همّهم القصف واللّهو.. هذا هو تاريخ الإسلام الذي قدّمه الأصفهاني للتّاريخ لينال حُظوة آل بُويه.. ورغم أنّ أعلام المسلمين وأهل الحديث الموثوقون في أمانتهم العلميّة قد فضحوا هذا الكاتب وكتابه وحذّروا منه.. إلاّ أنّ هناك إصراراً عجيباً من قبل الدّارسين في هذا الزّمان من علمانيّين وأشكالهم على الإعتماد عليه في كثير من تحليلاتهم المهترئة..

فهذا الحافظ أبو الفرج بن الجوزي يقول عن الأصفهاني: (وكان يتشيّع ومثله لايوثق بروايته، فإنّه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، وتُهّون شرب الخمر وربّما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمّل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر)(7) وليس هذا رأي ابن الجوزي فقط بل جمهرة علماء الأمّة كالخطيب البغدادي وابن كثير وابن تيمية وغيرهم.. (وعلى كل حال فإنّ كتاب الأغاني كُتب في عهد آل بُويه، وتناول الغناء ومايتعلّق به مع أخبار شائنة منذ الجاهليّة إلى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفّى سنة 289 هجرية، وسكت عمّا بعد ذلك فهل انقطع الغناء؟ أم أنّه أراد أن يسكت قبل مجيء العهد البُويهي، لئلا يضطر إلى ذكر أشياء قبيحة لايحسن ذكرها؟ لذلك نال الكتاب رضا آل بُويه، واتّفق مع رغباتهم وهواهم، في تشويه تاريخنا، والدسّ والإفتراء والكذب على آل البيت النّبوي الشّريف، وعلى الأمويّين، وعلى أعلام أمّتناولذلك كان عضد الدّولة البُويهي، لا يفارق كتاب الأغاني..)(8).

وبعد.. إنّ كتابة التّاريخ الإسلاميّ تعرّضت لتوشيه متعمد من قبل السّلطة وكان الإخباريّون والشّعراء أدوات السّلطة في التّشويه.

الدّولة المملوكيّة: (648 هـ لى 923هـ) :

هذه الدّولة قد تعرّضت لحملة تشويه لكلّ من هبّ ودبّ في كتابة التّاريخ، وصارت أنموذج الإنحطاط الحضاريّ والأدبيّ واللّغويّ، حتّى وصمت بكلّ الموبقات.. فلا تجد نقيصة إلاّ في العهد المملوكيّ.. على سبيل المثال: -يقول شاعر علمانيّ (أحمد عبد المعطي حجازي) في مقال له في جريدة الأهرام المصريّة بتاريخ 1996/6/26: (وكذلك في

عصور الإنحطاط التي شهدها الأدب العربيّ في العصر المملوكيّ، ففي هذا العصر الذّي تراجع فيه الشّعر وتدهورت الكتابة...).

مع أن هذا العصر الإسلاميّ شهد أعظم المعارك وأشدّها على الأمم الكافرة.. وفيه انتهت أسطورة التّتارذلك الجيش المغوليّ الذي لايقهر وكانت مقبرته في عين جالوت .وكانت نهاية الصّليبيّين على يد المماليك أيضاً..

لقد كانت نهاية الغطرسة والتّهاون بهيبة المسلمين على يد سيف الدّين قطز، وبيبرس البندقداريّ (ت 676 هـ) والمنصور قلاوون (ت 689 هـ) والأشرف خليل قلاوون(ت 693 هـ) هؤلاء السّلاطين المماليك هم الذين دوّخوا الأمم الكافرة واستعادوا هيبة وعظمة الإسلام.. فلولا أنّ الله رحم الأمّة بهؤلاء المماليك لدخل التتار مصر..

وأوروبا نفسها مدينة لهؤلاء المماليك .. فلولا عين جالوت لزحف التّتار على العالم .. فهؤلاء المماليك هم الذين أوقفوا ذلك المارد المدمّر الذي كاد أن يبيد حضارة الإسلام بل والعالم أجمع.. فلماذا الهجوم والتّشويه؟..

مما لاشكّ فيه أنّنا نكون مخطئين إذا تصوّرنا أنّ عصر المماليك كعصر الصّحابة أو الخلافة الرّاشدة أوحتى العصور الإسلاميّة الأولى الصّافية .. ولكن يجب أن ننظر إلى تقويم هذا الدّولة من خلال الظّرف التّاريخيّ الذي وجدت فيه.. فحالة الفوضى وتوالي الهزائم على المسلمين.. أفقدتهم الثّقة بأنفسهم وكادت أن تفقدهم الثّقة في دينهم.. فيكفي هؤلاء المماليك فخراً أنّهم هم الذين أعاد الله على أيديهم الثّقة في نفوس المسلمين..

هذا من النّاحية العسكريّة والسّياسيّة. أمّا على الجانب الأدبيّ والتّاريخيّ واللّغويّ فعصر المماليك هو عصر الموسوعات التّاريخيّة واللّغويّة والأدبيّة التّي لم يسمع عنها النّاس من قبل.. عصر المماليك هو عصر المدوّنات التّاريخيّة الكبرى.. عصر المماليك هو الذي حفظ لنا تاريخ الإسلام الذي كاد أن يندثر في الحروب الصليبية والهجوم المغوليّ المدمّر..

وهذه عيّنة من علماء ذلك العصر.. ابن منظور، ابن هشام، ابن تغري بردي، بن تيمية، السّبكي، الذّهبي، ابن القيم، ابن حجر العسقلاني، السّيوطي، السّخاوي ..إلخ القائمة طويلة.. هؤلاء هم علماء الأمّة الذين نأخذ عنهم ونفتخر بهم.. بل وتتشرف أيّ أمّة بأسمائهم.. وكتبهم ملأت الدّنيا بعلومهم الغزيرة ومنهجهم القويم.. هؤلاء العلماء كانوا في

عصر المماليك تلك الدولة المفترى عليها..

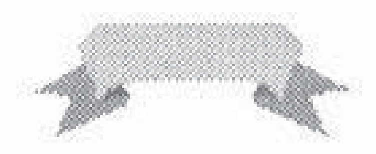
صفوة القول :

بعيدا عن حكايات الإخباريّين غير الموثوقة وقصص الوضّاعين وموتوري النّفوس، نستطيع أن نقرأ التّاريخ بعيون جديدة ونظرات موضوعيّة، ولكن علينا أن لا نسى أنّ تاريخنا هو تاريخ بشريّ، وهو حركة حياة تعجّ بكلّ ما في الإنسان من إرادات وشهوات ورغبات، ولكن كان علينا أن ننظر إلى التّاريخ بقراءة العلم لا بقراءة الحكايات ولابنفوس حاقدة وموتورة.

والله الموفق

الهوامش

(1) ميزان الإعتدال للذهبي ج2 ص 620 .. نقلاً عن العواصم والقواصم لابن الوزيرج8 ص40 ، 41)
(2) دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره د. محمد ماهر حمادة ـ مؤسسة الرسالة بيروت ط أولى 1408هـ ص 20.
(3) تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط أولى 1408هـ ص 169 .
(4) تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ـ د.حسن إبارهيم حسن ـ دار الجيل بيروت ـ ص43.
(5) السيف اليماني في نحر الأصفهاني ـ وليد الأعظمي دار الوفاء ـ مصر ص65.
(6) تاريخ الأدب العربي ـ عمر فروخ ـ ج 2 ـ دار العلم للملايين ـ ص537.
(7) المنتظم ج6 ص40، 41.
(8) السيف اليماني ص70.



لمّا كان الشّعر كلاما، بل من أجمل الكلام، ولمّا كان الكلام سهاما، كان الشّعر من أنبلها وأريشها، كان لا بدّ أن يكون شعر المسلم نبالا في نحور الطّغاة والمرتدّين والمجرمين، ولن يرتفع الرّجل بنفسه حتّى تسمو نفسه أن يُسقط الرّموز الطاغوتيّة الكبيرة، وليس هناك أعظم من نبال الشّعر بالجعة لبالونات الطّواغيت الكافرة، ومن هؤلاء الطّواغيت ذاك الزّاعم شرف المنبت والأصل وهو دهقان الرّذيلة والكفر والخيانة، فقد أراد شاعرنا أن ينتقم لدينه الذي يراه مذبوحا في بلده، وأن ينتقم لأمّته التي ذبحت بسيف مشايخ الهوان والجبن.. فكانت هذه القصيدة الطّيّبة:

صفعة في وجه طاغوت وأزلامه

قصيدة للأستاذ:

محمّد عبد السلام خليل

يقول الطّاغوت:

نسبي أنا من أكرم الأنساب ... من شكّ بي عذّبته بعذابي

أنا هاشميّ الأصل جدّي يعرب ... أنا مؤمن أنا طاهر الأثوابِ

أنا من بَنَى للعرب سِلْما ماجدا ... أنا من نشرت العدل فوق رحابِ

أنا من يقوم الليل حتى تسعدوا ... ضحّيْت من أجل الهنا بشبابي

أنا رافع أنا خافض أنا واحد ... أنا حاكم من غير حسابِ

أوليس لي ملك البلاد وأهلها ... والنّهر تحتي جاريا بشعابي

أنا مطعم الخلائق رازق ... بل إنّني أنا أعظم الأربابِ

يقول الشّاعر::

بل أنت طاغوت يؤلّه نفسه ... بفعاله ولسانه الكذّابِ

ما أنت أصلك هاشم أو يعربٌ ... أنت الدّعي ومُنْكَر الأنسابِ

إنّ اليهود لهم بأصلك لُحمة أبناء عمّك خُلّص الأحبابِ
لو كنت حقًّا من قريش لم تزر قبر القرود ولم تَفُهْ بخطابِ
وسكبت من عينيك دمعا مثلما صبّت مياه من عيون سحابِ
لسنا نخالك إذ فعلت فعالهم إلا يهوديًا بغير عُجابِ
لو لم يكن لك في اليهود وشيجة لتهوّدت منك الدّما بحِبابِ
أنت الذي ملّكتهم ما لم يكن يُجنى بغير قواضبٍ وحرابِ
ونصبت للإسلام حرب عداوةٍ وكشفت عن حقد وعن أنيابِ
أقسمتَ أنّك خصمه لقيامة ووصمته بنوازع الإرهابِ
وزعمت أنّك باليمين لآخذ كتْبا وتدخل جنّة الأطيابِ
وسدرت في غيّ وفي أضلولة لولا نهتك مشايخ الآرابِ

* * *

أنا إن عذرتك لست أعذر لُسنهم من أسكتوا من غير أيّ عتابِ
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم من أجل دنيا جيفة ككلابِ
يا ليتهم سكتوا ولكن زيّنوا بالقول والأفعال كلّ خرابِ
هم زيّنوا للنّاس أنّك مؤمن تقضي الأنام بسنّة وكتابِ
ضلّوا فضلّت أمّة بضلالهم أصلاهم الجبّار سوء عذابِ
يا أيّها المخدوع لا تسمع لهم هم خادعوك بزخرف وكذابِ
وأتوا الحقيقة مبتغين رضاكمُ بل أنت خادعهم بدار تبابِ
سمّنتهم ربّيتهم ورفعتهم حتى غدوا طوعا لكلّ طِلابِ
يا أيّها الشّيخ المضلّ لقومه أقْصِر وهتّك عنه كلّ حجابِ
لو كنت من أهل التّقى لسللته سيفا يمزّق ظلمة الكذّابِ

لو كنت تخشى الله كنت مجاهرا ... بالحقّ غير مثبّط هيّابِ
فأنِبْ لربّك يا شُنَيْخُ فإنّه ... يعفو بتبيان الهدى ومتابِ

* * *

يا أيّها الملك المؤلّه نفسه ... جُلّلت بالنّيران يوم حسابِ
أقصر فحسبك ما بدا من ظلمة ... كُشف النّقاب وزال كلّ ضبابِ
لا تحسبنّ النّاس تجهل مكركم ... قد طاح عهد المين والألعابِ
عطّلتم شرع الإله ودينه ... حكّمتمُ في النّاس شرع الغابِ
فسرى الفساد وعمّ كلّ بقاعها ... والشّعب حيّ بشقوة وصحابِ
طوّف عيونك بالبلاد فلن ترى ... غير الفقير المكتسي بترابِ
والذّل خيّم فوق كلّ رؤوسنا ... يا ليتنا نردى بقطع رقابِ

* * *

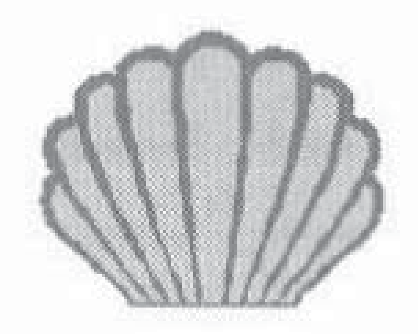
عشنا زمانا تحت ظلّ عدالة ... إذ كان حكم شريعة الوهّابِ
كنّا أعزّ النّاس في دنيا الورى ... والخير سال بأوهد وهضابِ
أنّى بدت شمس السّماء فإنّما ... هي فوق أبياتي وفوق جنابي
ما بالهم كان الإباء كساهم ... وكساؤنا من أوهن الأثوابِ
هم حكّموا شرع الإله بغير ما ... نقص ولا استبداله بتبابِ
فلتحكموا بالشّرع شرع محمّد[1] ... ولتنبذوا دستور كلّ ذئابِ
إن تحكموا بالشّرع دون هوادة ... صرتم لنا من أطيب الأحبابِ
لكن إذا دام المقام على الخنا ... سيكون سيفي لا اللّسان جوابي
لو لم أجد إلا الأظافر شوكة ... لو لم أجد لطعنتكم بسبابِ

1- صلّى الله عليه وسلّم

آمنت بالله العظيم ودينه وكفرت بالطّاغوت والأذنابِ
أنا بارئ ممّن يوالي دينكم إنّي براد من نفاق غرابِ
إنّي براء من شيوخ ضلالة أنا دائر مع سنّتي وكتابي
فلتنشروا جسدي بحدّ نيوبكم ولتنزعوا جلدي بسوط عذابِ
أو أوثقوني بالقيود وشرّدوا سيكون عند الله حسن مآبِ
أنا لست وحدي للشّريعة غاضبا بل دونها الآساد بالأنيابِ

* * *

هم جند أحمدَ[1] تابِعوا منهاجه رهبان ليل صبَّرٌ بضِرابِ
كلّ النّفوس لأجل دين محمّد[1] تفنى ليعلوَ فوق كلّ رحابِ
لن تستطيعوا وأد نصر قادم وعد من الرّحمان غير كذابِ
وعروشكم لا بدّ تهوى خُشْبها فعروشكم مبنيّة بِهبابِ
سيعمّ نور الدّين يوما أرضنا إن شاء راضٍ أو أبى من أبى
سخّرت شعري كي أزلزل كفركم ويجيءُ يوم الرّمح والقضّابِ



1- صلّى الله عليه وسلّم

الفهرس

المجلّة

تعبّر عن رأي كاتبها،

وهي ملزمة بكلّ ما يكتب فيها،

وهي بهذا تعبّر عن موقف المسلم في

فهمه لقضايا الدّين والعصر ولذا تدعو الإخوة الأحبّة

أن يمدّوها بما لديهم من مشاركات علميّة ودعويّة وفكريّة

ومنهجيّة وأدبيّة تخدم ما تحمله من منهج وهدف، وسيجد الإخوة

في هذه المجلّة طريقهم المفتوح إذا أغلقت أمامهم السّبل

والله الموفّق



 ترسل المقالات والتّبرّعات على عنوان المجلّة

وللإستفسار عن المجلّة الرّجاء الإتّصال على هذا الرّقم :

00 - 44 - 956 44 83 97 ☎

السّعر 2 جنيه إسترليني أو ما يعادلها